رواية محاكمة عقل

نور معترماوي

إلى كلّ من يعاني من وعورة الطّريق، إلى كلّ مَن يظنّ أنّه لن يتخطّى

هذه الرواية القصيرة إهداءٌ لكم لأخبركم بكلّ حروفها وحركاتها ودموع ريم فيها..

لقد تخطّيت

معقّدة، انطوائية، مريضة نفسيّة...
لطالما نعتوني بتلك الصفات أو ربّما فعلًا هذا ما كنت عليه.
لكنْ! لا أحد يصدّق حقيقة ما أقول وأنّ تلك الطفلة حينها لم تكن تكذب أو تتوهّم وأنّ نار ذكريات موت والدها الّتي حملتها في فؤادها منذ ذلك اليوم إلى هذا اليوم لم تنتهِ بل إنّها تتأجج مع كلّ يومٍ تكبرُ به.
موتُ والدي!
بداية المأساة وعالم العزلة.
انعزالي عن أقاربي، أخواتي، حتّى أمي.
لكنْ! بالتأكيد لم أختَر ذاك الطريقَ عن رغبتي بل هم و بعدم تصديقهم إيّاي و ظنّهم أنّي مريضة قد أجبروني على صنع شرخٍ بيني و بينهم فاكتفيتُ منذ ذلك الحين بصديقٍ واحد هو "دفتري" دفتري الّذي أخبرته بقصتي فصدّقني و احتفظ بسطوري و لم يقم بتكذيبي كما فعلتْ عائلتي ...

عائلتي الّتي لطالما أخبرتهم:
أنّ أبي لم يمت بسبب انزلاقِ قدمه أمام الحمام كما رأَوْا.
ليتهم أصغوا إليّ فأنا أكثرهم تذكّرًا لتفاصيل ذاك اليوم و كيف لي ألّا أذكره؟

و لقد انتظرته حينها بفارغ الصبر ابنة الستّ سنوات كانت بكلّ مرّة تتوق شوقًا لعودة أبيها من سفره فتركضُ إليه تعانقه و تطبع قبلةً على وجنتيه ثمّ تتدلّل قليلًا تخبره: لقد اشتقت إليك. أرجوك لا تسافر مجدّدًا أرجوك.

ما زلتُ أذكرُ آخر لقاءٍ بيننا أخذني إلى الروضة و عندما وصلتُ بابها لم أترك يده قال لي : اتركي يدي و ادخلي يا عزيزتي فأجبته: أريد أنْ أمسكها طيلة حياتي فأنا أحبّ الإمساكَ بها و أحبّك.

ابتسم من براءة طفولتي أخذ يمرّر يده الأخرى على شعري لتحرّكَ حركته تلك كلّ مشاعري فتُأجِّج بداخلي مشاعر الحبّ و الشوق.

لقد ضحكَ عليَّ بكلماته المعتادة لأدخُلَ روضتي ثمّ ذهب.

ذهب و منذ ذلك الحين لم يعُد.

ساعات الروضة كانت طويلةً و اليوم هو يومٌ كما كنت أحسبه يومًا جميلًا لأنّنا سوف نذهب إلى بيت عمّتي نتناول الغداء سويّةً.

على الرغمِ من أنّني أمضي معظمَ وقتي معهم لكنْ يستحيلُ أن أشعر بالملل، يوسف، أحمد، وهيما يا إلهي كم كنت أحبّهم.

لم أكن أدري أنّ أمي قد ذهبت لمساعدة عمّتي بالغداء و أعلمُ أنّ أخواتي في مدرستهم فقرّرتُ أنْ أسرق من الزمنِ لحظاتٍ أكثر لإمضائها مع أبي الّذي سيعود لسفرهِ مجدّدًا...

أنفاسي تتضارب و من الركضِ قد تعبت..
كيف لا و للتوّ من روضتي قد هربت و يا ليتني ما فعلتُ!
باب منزلنا مفتوح!
شيءٌ من الرّيبة تسلّل إلى القلب.
دخلتُ خلسةً و أنا أسمعُ أصواتَ ضجّةٍ خفيفة و همسٍ من عتاب مصدرها غرفة الضيوف.
خطوات متردّدة أتقدّمُ أم أعود حتّى في النهاية اقتربتْ.
نظرتُ من طرفِ الباب لأرى ظهرَ رجلٍ وأبي أمامه مستسلمًا لضرباته
خفقاتُ قلبي تزداد بدأتُ ألفظُ أنفاس الصعداء، الخوف و الرعبُ يسيطرانِ عليّ، أودُّ أن أصرخ لم أُطل بالتفكير أكثر حتّى رأيته أمامي قد وقع...
صوتٌ عالٍ ما زال عالقًا في مسمعي منذ ذلك اليوم إلى اليوم.
إنّه صوت ارتطامه بالأرض و انكسارِ عظمةِ رقبته.
لقد مات!
بدأ توازني يختلّ و جسدي يرتعش..
الخوف سيطر عليّ كليًّا لقد خشيتُ أن يراني ذلك الرجل فيقتلني، أوَليسَ الخوف من فطرةِ البشر.

هربت، ركضتُ خلسةً و كأنّي شبحٌ قدماه لا تلامسان الأرض.
يدايَ ما زالتْا على فمي أخشى أن يسمع صوت ارتطام أنفاسي و اختلاجاتِ بكائي تاركةً أبي خلفي يحرّكه ذلك الرّجل الّذي كما يبدو أنّه الآخر قد دخلَ بنوبةٍ من الذّعر.
لا أدري كَمْ مرّ من الوقت...
حتّى سمعتُ صوتَ إغلاقِ الباب يبدو أنّ الرجل قد رحل.
خرجتْ ودموعي تحرقُ وجنتي ما زالَ جسدي يرتعش.
ببطءٍ شديد، هكذا كنتُ أمشي رهبةُ المكان ووحشته تكادُ تقتلني حتّى وصلت الغرفة فلم أجِدْ أبي.
بدأت رحلتي بالبحث عنه في أرجاء المنزل تلك الرحلة الّتي قد أخذت فعليًّا من الوقت خمس دقائق لكنّ روحي قد حسبتها خمسَ ساعاتٍ من الذّعر والقلق وسؤالٌ واحدٌ في الذهن:
هل سأجدُ أبي؟
و إنْ وجدته هل سألقاه كما اعتدّتُ عليه واقفًا شامخًا ينتظرني، أم سألقاه كما تركته للتو؟
انتهت رحلتي و تحطّمت آمالي، تبعثرَت أفكاري، ودّعتُ آخر بسماتي هُنا عند أبي.
كان جثّةً هامدة ممدّدة أمام الحمام.
اقتربتُ منه ببطءٍ أكثرَ من سابقه، لا أدري كيف استطاع جسدي

أن يسير على هاتين القدمين المثقلتين بالخوف.

مددتُ يديَّ إليه حرّكت جسده بيدين مرتعشتين

أبي، أبي.

لكنّه لم يستيقظ!

أبي، أبي.

أيضًا لم يستيقظ!

يبدو أنّ قلبي الهشّ الضعيف لم يعد يحتمل حتى سقطتُ مغشيًّا عليَّ بقربه.

للمرّة الثانية لا أدري كم مرّ من الوقت!

كلّ الّذي أعلمُه أنّني في حضن أمي الدافئ و هيَ بين الحين و الآخر تنادي باسمي بصوتٍ مبحوحٍ باكٍ لا أدري إنْ كانت تبكيني أم أبي أوْ ربّما كلَيْنا.

كنتُ تارةً أفتحُ عيني فيلوحُ أمام نظري وجه أبي فأغمضهما بسرعة لأنسى مرارة الفَقد، و تارةً أجهشُ بالبكاء ثمَّ أعاودُ النوم.

يبدو أنّني قد بقيتُ طويلًا على هذه الحال حتّى انتَهى بي أرى نفسي بين أيادي الأطباء يقولون:

صدمةٌ نفسيّة قد سلبت من هذه الصغيرة نطقها و جعلتها انطوائية.

أيامٌ قليلة وتخرجُ من صدمتها ثمّ تسمعون صوتها مرّةً أخرى في أرجاء المنزل إن شاء الله.

هكذا قال الأطباء لكنْ كما يبدو أنّ توقّعاتهم لم تُصب.
مرّت عدّةُ أيام مازلتُ لا أقوى على الكلام وكيف أقوى فقد رأيتُ أبي يقتلُ أمام عينَيْ. ماذا أخبرهم هل سوف يصدّقون هذه الصغيرة؟
يبدو أنّ أمي المسكينة لم يقتصر ألمها على فقدِ أبي ثمَّ البلاء الّذي حلّ بي...
فها هيَ الآلام قد نصبت كوخًا ثمّ أقامت فوق قلبها ولا سيّما بمجيءِ أختِ زوج عمّتي وهيَ تقول أنا زوجة سمير.
كيف؟ ومتى؟
لا لا، سمير لا يتزوج عليّ كيف له أن يتزوج غيري وهو يحبّني وأحبّه وها هيَ ثمرةُ حبّنا ثلاث بناتٍ كأنّهن حورٌ عين.
كانت أمي تقولُ تلك الكلمات والخوفُ يسيطرُ على آخرِ زاويةٍ آمنة في قلبها فهي تعرفُ تمامًا أنّ أخت زوج عمّتي قد كانت أيضًا في السعودية حيث عمل أبي وقد توفّى عنها زوجها منذ عام.
هل يعقلُ أن تكون هذه المرأة صادقة؟
لم تترك تلك المرأة المجال لأمي بالتفكيرِ أكثر، لتنهي شكوكنا وتقطع آخرِ أملٍ لنا بأنّها تكذب حيث أخرجت عقد زواجها رمَته بوجهنا قائلة: ذاك الكاذب قد ضحكَ عليَّ سرق أموالي وأموال

زوجي السابق، قد أخذ الله حقّي منه ولا تحسَبوا أنّني سأترككم تقاسموني إرثي، سوف أسترجع حقّي مهما كلّفني الأمر.

ثمّ أنهت كلماتها الّتي كانت كجبلٍ وقعَ على صدر أمي الضعيف فجعلت عظام القص تلتصق ببعضها باصقةً آخرَ دمعةٍ نزلت من عينيها على أبي.

خائن! وأيضًا جَشِع! لم أعهدكَ هكذا يا سمير أمْ أنّ أموالَ الغربةِ قد أعمت بصيرتك.. قالتها أمي وهي تلملم شتات نفسها ثمّ نظرت إلى عمّتي الّتي لم تكن أقلّ صدمةٍ منّا وسألتها إنْ كانت تعلم بزواج أبي من أخت زوجها. فأقسمت عمّتي أنّها لم تكن لتعلمَ قبل الآن و كانت تعابير وجهها توحي بصدقها.

عند هذه اللّحظة ماتَ آخرُ أملٍ فينا منذ أن رأينا ذبول وجه أمّنا...

لَوْ كنتُ أقوى على الكلام لأخبرتكِ لا تبكي يا أمي فأنا معكِ و سوف أمسكُ بيدكِ دائمًا لكنْ ماذا بوسعي أن أفعل فعبراتي عالقة بحنجرتي ومازالت تخنقني و كلّما لُمتي أبي ضاقَ صدري و زادَ ألمي.

أعلمُ أنّ أبي قد آلمكِ لكنْ أيًّا يكن أبقى أنا طفلته المدلّلة و لن أقوَ على سماعِ أيّ كلمةٍ ضدّه حتى إنْ كانت منكِ يا أمي..

سامحيني لكنْ يكفيني ضيقُ صدري بما لا أستطيعُ أن أبوحَ به.

أيامٌ ثقال قد مرّت بِنا. جميع الوجوه حولي قد باتت حزينة و قلبي

ما زال يتأجّجُ، كلّما مررتُ بغرفةِ الضيوف انتابني الذعر و دخلتُ بحالةٍ هستيرية لا يهدّئها سوى حضنُ أمي الدافئ...
لم يعُد لنا مكانٌ في هذا الوطن.
هذا ما قالته أمي و هذا ما كنت أرغبُ بِهِ للتخلّصِ من هذا المنزلِ و هذه الغرفة و ذلك الكابوسُ المرعِب الّذي ما زال يراودني كلّ ليلةٍ فيوقظني على ارتعاشِ جسدي الصغير و نحيبِ ما تبقى من بحّة صوتٍ تولّى عن صاحبه.
ذهبنا إلى مصر حيث جدّتي و أخوالي، ثمّ بدأت رحلتي مع العلاج تلك الرحلة الّتي لم تستغرق كثيرًا حتى عاد صوتي فربّما وجودي في منزلنا هو من كان يعرقلُ خروجي من صدمتي ويجعلني أسيرةً في قوقعة الكابوس.

كان أوّل ما نطقته بعد غياب هو ما كان يختلج كلّ تلك الشهور بداخلي لكنْ ذاكرتي وصغر سني جعلاني أروي القصّة بطريقةٍ غير واضحة.
كنتُ آملُ أنْ تصدّقني أمي لكنّها أخبرتني: أنّ ما هذا سوى حلمٌ مزعج قد رأيته.
أخبرتُ أخواتي فقالوا: أنّني أثرثرُ كثيرًا بعد كلّ ذلك الصمت.
أخبرتُ جدّتي وأخوالي فأزعجهم حديثي المستمرُ عن أبي وشتموه أمامي. تلك الشتائم الّتي آذَتْ قلبي الصغير وأوجعته...

لا أحدْ يصدّقني جميعهم يظنّون أنّني أهلوس. أخذتني أمي إلى الطبيب فأخبرها أنّ هذه تأثيراتُ ما بعد الصدمة، حتّى أصبحتُ أسمعهم في كلّ مرّةٍ يقولون انتبهوا إلى مشاعرِها إنّها فتاةٌ مريضة...

مريضة!

تلك الكلمة الّتي وصفوني بها ولم تكُنْ بي، وبكثرةِ تردّدها في حياتي أجبروني على اعتناقها.

لقد عجزَ الأطباء عن نزعِ ذلك الكابوس من عقلي ولساني، فأصبحتُ فأرَ تجارب لأدويتهم حتّى تحوّلتُ فعلًا لفتاةٍ مريضة و متوحّدة.

كنتُ أكرههم جميعًا أكره جدّتي و أخوالي الّذين لم يتركوا ذلك الميّتَ راقدًا في قبره حتّى وبكلّ حديثٍ لهم كانوا يستحضرونه و يشتمونه

كرهتُ أمي لأنّها تصمتُ عند سماعهم يتحدّثون عن أبي و لا تجادلهم بشيءٍ كأنّها دميةً أمامهم.

بدأتُ أكرهُ أخواتي لأنّهنَّ يتعاطفنَ معي ظنًّا منهنَّ أنّي مريضةٌ حقًّا.

من أكثر الأشياء المؤلمة أن يكون المرء عاقلًا وسط مجتمعٍ ينعته بالجنون....

حتى أصبحتُ كما أرادوا منّي أن أكون "الفتاة المجنونة"
كانت نفسيّتي تزداد تأزّمًا، أصبحتُ أكثر انطوائيّة لا تروق لي كثرة الحديث..
العزلة!
كانت فقط علاجي الوحيد و ما أجمله من شعور عندما يتركُ المرء ثرثرة البشر و يتّخذ لنفسه عالمًا خاصًّا بعيدًا عنهم فقط أنا و غرفتي و دفتري الّذي لطالما كتبتُ به قصّتي.
كبرتُ و كبُرَتْ مساحة غرفتي و حجم دفتري و عزلتي أيضًا قد كبرت معي، و إلى اليوم مازال يراود ذهني موت أبي.
الجميلة المجنونة لطالما سمعتُ أبناء أخوالي يطلقون ذلك اللقب عليّ..
لكن لا بأس هم فقط المجانين هُنا فكلّما قارنت درجاتي العلميّة بدرجاتهم ابتسمت سرًّا و علمتُ من منّا الأبله فتذكّرت اللقبَ الآخر الّذي لطالما سمعته في مدرستي "المتوحّدة المجتهدة"
جميعهم أغبياء لا يدركون أن عقدة النقص تلك هي بهم و ليست بي.
و لكنْ لماذا يا أمي؟
لماذا بعد تلك السنوات تريدين أن نعود إلى وطننا.
عشرُ سنوات لم تكن بالبضعِ القليل ألا ترين كم كبرنا بها تغيّرت

فيها ملامحنا حتّى شعري الأشقر قد طال مع ازدياد طولي.
أمي أرجوكِ لا أريد أن أخرج من غرفتي الّتي احتوتني و ذكرياتي
أمْ أنّ رهف لم تجد لنفسها فارس أحلامٍ سوى ابنِ عمّها الّذي
خطبها عبر الهاتف..
أغبياء. ليتَ الزفاف يُقامُ أيضًا عبر الهاتف ولا أغيّر من أجلهما
منزلي.
وأيضًا حنين هل يهون على قلوبكنّ الفراق يا أخواتي!
كيف لكنّ ترك مصر وأهراماتها وجمالَ النيل فيها!

على الرغم من عدم إخباركنّ من قبل كم أنّي أحببتها و كلّما زرتُ
معالمها شعرتُ كأنّ روحي هائمةٌ في عشقها، لطالما التزمتُ
الصمت حيالَ كلّ ما يمتّ لمشاعري بصلة ، لكنّي حقًّا يعزُّ عليّ
فراقها، كيف لَكُنَّ أن لا تشعرنَ بما أشعرُ به؟
ماذا عن جامعتك يا رهف؟
ماذا عن مدرستك الثانويّة يا حنين؟
أيهونُ عليكنّ الفراق؟.
كانت محاكماتي العقليّة في تلك الليلة على أشدّها يبدو أنّ أمي قد
عزمَتْ أمرها و لم يكُنْ زواج رهف السبب الرئيسيّ لعودتنا، لطالما
قرأتُ حديث أمي من نظرةِ عينيها و تأكدتُ من صدقِ حدسي
عندما أتت غرفتي بذلك المساء تواسي كربتي حينها قالت لي: لا

تحزني يا ريم لكن لا بدّ من العودة إلى بلادكم و العيش قربَ عمّكم و عمّتكم.

ريم: ألِهذا الحدّ قد أثقل موتُ جدّتي كاهلك يا أماه، كثيرًا ما قرأت بالروايات عن كيد النساء و لكن لم أكن أدرِ أنّ نساءِ إخوتك منهنّ.

قالتها أمي بخنقة: ريم.

فأجبتها بثقة: دائمًا ما كنتِ ضعيفةً أمامهم و حتّى في غيابهم، لماذا يا أمي لماذا جعلتنا دمية بأيديهم؟ جعلوني مريضة وجعلوا من أخواتي جارياتٍ لهم وفضّلتِ الصمت حتّى ماتت تلك الّتي زعمت أنّها زوجة أبي حينها فقط رأيتك تفكّرين بالعودة.

الصمتُ حلّ بالأجواء نظرت أمي إليّ تلك النظرة الّتي اعتدتها منها نظرة الريبة من كلام هذه المتوحّدة حتّى قالت: لكن بعد اليومِ لن أجعل مِنك فتاةً مريضة.

ابتسمتُ بملامحَ جامدة يكسوها الاستهزاء: لقد وصلتِ متأخّرة يا أمي، متأخّرة جدًا.

ما إنْ خرجت أمي تلملمُ شتاتها حتى رميت بجسدي على السرير أتأمّلُ السقف وأضحك من نفسي.

تارةً يشدّني حبّ مصر و تارةً تشدّني رغبة الأسير بالتحرّر ، لكنْ بعد ماذا فأنا حقًّا قد اعتدت على أسري، و يبقى أسفي على أمي و

أخواتي يجعلني أتقبّل الأمر.

أيامٌ قليلة ها هوَ عمّي يستقبلنا في المطار و يسألُني بنظرة استغرابٍ يكسوها التعجب أ أنتِ ريم؟!

بالتأكيد لن يعرفني ،كيف له أن يعرفني و لم أتحدّث معهم منذ أن خرجنا لكنّ الّذي ما زال يدور في ذهني هي نظرة التعجب تلك الّتي لطالما رأيتها بوجه جميع من يراني فهلْ حقًّا أنا جميلة!

عينايَ تشبهان عيونَ معظم البشر واسعة بلونٍ عسليّ ، بشرتي بيضاء و لا أظنّ أنّ ذلك الأمر يميّز بشرًا عن غيره فما الّذي يرَوْنه من الفتنة بوجهي حتّى أنال إعجابهم!

أمْ هذا طبعُ البشرِ المعتاد كلّ ما هو مكنون يلفتُ النظر حتّى و إنْ كان حجرًا مغطّى بقماش.

بدأتْ رحلتي في هذا الوطن.....

عُدْنا و لم أكُنْ أدري ماذا سوف يجري لاحقًا.

أخذنا عمّي إلى منزله كانت عينا رهف لا تخفيان مدى سعادتها فأخيرًا قد وصلتْ حيثُ خطيبها و ابن عمها محمّد.

كان استقبالًا يراهُ الجميع جميلًا تكسوهُ الفرحة بعودتنا فقد كانت عمّتي أيضًا هُنا لاستقبالنا.

يا إلهي كم مضى من الوقت لفقد تغيّروا جميعًا أكادُ لا أعرفهم بل حقًّا لم أعرفهم.

عمّتي، زوجة عمّي، رشا ابنة عمّي، هيما ابنة عمّتي و صديقة طفولتي.

و طفلَيْنِ لم أعرفهما ,يبدو أنّهما أبناء عمّي.

رأيتُ في وجوههم جميعًا نظرة الفرحِ برؤيتي بعد كلّ تلك الأعوام يبدو أنّهم أيضًا لم يعرفوني.

لا يمكنني تجاهل مشاعري حينها و خاصّة عند عناقي هيما شيء ما تحرّكَ بداخلي و لكن كان هناك صوتٌ آخر يزورني بين الثانية و الأخرى شعور يشدّني إلى العزلة و الابتعاد عنهم فاختلاط أصواتهم الممزوج بضحكاتهم بات يقتلني، و صوتُ هذيْن الولديْن اللّذيْن يركضانِ بأرجاءِ المنزلِ فرحًا بعودتنا قد باتَ يفتّت جدار قلبي.

باتت أفكاري ترتطمُ ببعضها أنا حقًّا لا أكرهكم و في كلّ مرّةٍ قلت بها ذلك كنت أكذب، و أنا أقدّرُ موقفكم و سعادتكم لكنْ أرجوكم تفهّموا موقفي فأنا لم أعتد على هذه الضجة من قبل.

والّذي نفسي بيده إن الأمر خارجٌ عن سيطرتي. أنفاسي بدأت ترتطمُ ببعضها، ضجيج قلبي يزعجني أكثر من ضجيجكم سامحوني لم أعُدْ أحتمل.

حتّى في النهاية نطقتُ بملامح جامدة توحي جميع الاختلاجات الّتي تدور بداخلي: لو سمحتم أريد أن أرتاحَ قليلًا بمفردي.

قالتها زوجة عمّي بطريقةٍ لطيفة: بالتأكيد يا حبيبتي. رشا خذي ابنة عمّك إلى غرفتك

رشا: من عينيّ هاتيْن.

أخذتني رشا هناك حيث هدأَ قلبي، استقامَت أنفاسي، أخيرًا قد وجدتُ نفسي.

بعد مرور ما يقاربُ ساعة من الزمن أصواتهم ازدادت يبدو أنّ هناك أصواتَ شبّان أيضًا ، لم أكن أدري من في الخارج و في كلا الحالتين لم يكن يهمّني أن أعرِف.

فجأة جاءت رشا تخبرني أن أخرجَ لتناول الغداء لكنْ لم يروق لي الخروج فاعتذرتُ منها و أخبرتها: لستُ جائعة و في الحقيقة قد كنتُ أكذب فمعدتي تتضوّرُ جوعًا.

ألحَّتْ رشا عليّ بالخروج معها و في تلك اللحظة تحديدًا كالمعتاد لم أعُد أتحكّم بأعصابي ضرباتُ قلبي عادت تلتطمُ ببعضها، شيء ما يدفعني لفعلِ شيء جنونِيّ، لم يرغب أحدهم من قبل في الإلحاحِ عليّ بشيء ما فهم يعلمون أنّ العواقب وخيمة ربّما بتحطيم شيء أو دفعِ من أمامي و كم مرّةٍ مزّقتُ بها دفتري ثمّ عدتُ لجمعه بدموعي قبل يدي لكنْ والله لم يكُنْ ذاك الأمر بيدي.

ما زلتُ أرى رشا أمامي تتودّدُ حتى أخرج معها بينما أنا في عالمٍ آخر عالمٌ يدفعني لفعل شيء ما جنونيّ حتّى لفظتُ تلك التنهيدة

العالية و تذكرتُ كأسَ الماء الّذي كان بجانبي
صرختُ بوجهها عاليًا : أخبرتكِ لا أريد
ليتبع ذاك تفريغ شحنة غضبي بذلك الكأس و بلمحِ البرق تحوّلَ
إلى قطعٍ متناثرة وسطَ صوتِ ارتطامه الّذي رافق صوتي للتوّ
فعلتُ ما فعلتْ حينها فقط شعرتُ بهدوئي قد عادَ إليّ
رشا المسكينة كانت مندهشة يسيطرُ عليها الذعر ، ثوانٍ قليلة وأتى الجميع و أوّلهم أمي الّتي اعتادَتْ على مصائبي.
كانت أصواتهم جميعًا تتمتم: ماذا حصل؟
رشا تحاول التبرير و تقسمُ أنّها لم تقصد إزعاجي
نظرت أمي إليّ نظرة غضبٍ وحزنٍ في آنٍ واحد ثمّ قالت: هل هذا جزاء من يكرمك؟
أنهَت أمي جملتها ليعود عقلي إلى رشده فكلامها صحيح هل هذا جزاؤهم!!
عادت أفكاري للارتطام ببعضها، أوقفتها عند حدّها عندما نظرتُ إلى رشا وأخبرتها: أعتذر لم أفعل ذلك عمدًا، سامحيني.
نظر الجميع إليّ نظرة ريبة ظنًّا منهم أنّي أعاني من انفصامٍ في شخصيّتي.
لا بأس.. هكذا قالت رشا لكن ما زلتُ أرى يدها ترتعشُ خوفًا مني.

أخبرتها: لا تخافي مني فأنا لستُ مجنونة، و اذهبوا جميعًا أكملوا غداءكم أنا سأنظفُ الغرفة

زوجة عمّي: لا عليكِ يا حبيبتي نحنُ ننّظفه.

أجبتها بجمود: أنا من كسرته إذًا أنا من يُنظّف.

سكتت زوجة عمّي وفي وجهها حيرةٌ, ماذا تفعل يبدو أنّها خافت مجادلتي.

طلبت أمي من الجميع الخروج كأنّ شيئًا لم يكن و أخبرتهم أنّني إنْ نظفته بمفردي سيكون ذلك أفضل.

و فعلًا خرجوا لأسمعَ صوت شابٍّ بالخارج يسألهم بريبة: ما ذا حصل؟

لتجيبه هيما بصوتٍ منخفض: هذه ريم ابنة خالك يبدو أنّ نفسيتها قد تعبتْ قليلًا.

ردّ الشاب: ريم اه كدتُ أنساها ما بها

ردّتْ: ألا تدري يا يوسف بأنّها مريضة؟

أجاب: كيف أعلم و قد مرّ عشر سنوات على غيابهم عنّا.

حينها فقط عرفتُ أنّ هذا الشاب هو يوسف، يوسف الصبي صاحب العينين الخضراوين الّذي لطالما أتى منزلنا قبل ذهابه لمدرسته حتّى يأخذَ أخواتي معه إلى المدرسة و يوصلني أنا و أحمد إلى روضتنا.

مرَّ زمنٌ طويل يا يوسف لا بدّ أنّ عمرك الآن اثنان و عشرون عامًا كيف أصبحت ملامحك يا ترى؟!

أوَ تدري في كلا الحالتين لا يهمّني الأمر فما بين رغبتي بمعرفة ما حولي و رغبتي في البقاء وحيدة كانت رغبتي الثانية تغلبُ الأولى فأبقى أنا و دفتري و غرفتي.

مرّ اليوم كأنّه جبلٌ أُطبقَ على صدري تناولت غدائي بالغرفة بمفردي ، حين موعد ذهابنا أصرّ عمّي على بقائنا الليلة عندهم، لكن أمي أخبرتهم أنّه لا بدّ من ذهابنا لمنزلنا و على الرغمِ من وجودي بالغرفة لكنْ كنتُ كلّي آذانٌ صاغيّة و أمي أصرّت على الذهاب إلى المنزل فكانت عمّتي قد نظّفت المنزلَ مسبقًا فهي تعيشُ في نفسِ بنائنا، نحن في الطابق الثاني و هي في الطابق الرابع و كما يبدو أنّها حتّى مع مرور السنوات ما زالت مستقرّة في ذلك البناء.

حان موعد الذهاب دخلت أمي الغرفة أخبرتني أن أخرجَ معها لنرافق عمّتي في الذهاب.

خرجتُ و أنا لا أرغبُ بالنظرِ إلى أيٍّ منهم خجلًا ممّا صنعت.

أطالوا الوقوف أمام الباب يودّعون بعضهم تلك العادةُ الّتي لطالما كرهتها بهم فمللتُ من ذلك السيناريو المعتاد "إلى اللقاء" أعيدوا الزيارة" تصبحون على خير" و الكثير، الكثير من تلك

المصطلحات الّتي تحملُ نفس المعنى.

ضاق صدري من الوقوف معهم، نزلتُ مسرعةً أنتظرهم خارج عمارة البناء لعلّي أستنشقُ القليل من الهواء.

وقفتُ جانبًا أترقّب مجيئهم في الحين الّذي كان به أمامي سيارة يجلسُ فيها شابان و يقفُ محمّد قبالتهما.

كانت ثوانٍ من وقوفي حتّى سمعتُ ذلك الصوتَ مرّةً أخرى، إنّه صوتُ يوسف يسأل: أليست ريم؟

محمّد: أجل.

على الرغمِ من سماعي حديثهما إلّا أنّي تجاهلتُ وجودهم جميعًا و كنتُ أنظرُ بالاتّجاه الآخر.

حتى اقتربَ أحدهم منّي.

محمّد: ريم

تفاجأتُ للوهلةِ الأولى ثمّ استدرت نحوه: نعم!

لأجدَ أنّ يوسف و كما يبدو أحمد معه أيضًا قد خرجا من السيارة ليلقيا عليّ التحيّة هل يعقل ذلك! هل أنا بتلك الأهميّة لكي يتكلّف أحدهم عناءَ المشي خطواتٍ لإلقاءِ التحيّة عليّ.

محمّد: إنّهما يوسف وأحمد هل تذكرينهما؟

هززتُ رأسي بالإيجاب: أهلًا بكما

اقتربَ أحمد مدّ يده ليصافحني مبتسمًا: كيف حالك يا أختي.

نظرتُ إليه بملامحَ جامدة أتذكّر مقولة أمي
" أنّها أرضعته معي"
مددتُ يدي أيضًا ليلامسَ كفي كفّه فتعيدُ إلى قلبي أجمل ذكرياته شيء ما تحرّك بداخلي، مشاعر

وأحاسيس لم أكن أظنّ أنّها سوف تستيقظُ يومًا، عانقني فلم أكُنْ لأقابل ذلك بجفاء.

نسماتٌ هادئة، ليلٌ هادئ و عناقٌ جميل أخبره به لقد اشتقتُ إليكَ يا صديق طفولتي و أخي الجميل، و أسئلةٌ كثيرة بمشاعر صادقة تنهلّ منه لما كل ذلك الجفاء يا أختي لما حرمتنا حتى من رؤية وجهك يا سندريلا؟!
ابتعدتُ عنه برفق لأرى عينين آخرتين تراقبانني بصمت ليقطع صمته سؤاله: كيف حالك يا ريم؟
يوسف هذا يوسف أيضًا يؤجّجُ بداخلي مشاعر كثيرة برؤية عينيه الخضراوين.
بخير...أجبته بتلك الكلمة ليقطع صفوَ هدوئي ضجيج العائلة و اقترابهم منّا يقولون: دعونا نذهب.
دخلتُ السيارة، بقيتُ طيلة الوقت أراقبُ الطريق حتّى وصلنا فتحت أمي باب المنزل ثمّ دخلنا و ذهبت عمّتي إلى منزلها.
بدأ كلٌّ منّا يرتّب أغراضه فكانت غرفة لي و أخرى لأخواتي و

واحدة لأمّي و أخرى للجلوس و الغرفة الأخيرة هي غرفة الضيوف.

غرفة الضيوف!

تسلّلت إليها بقدمَين ترتعشان لأرى مشهد ارتطامِ رأسِ أبي أمام عينيّ أنفاسي عادَت تتضارب ،صدري يضيقُ كيف سأقوى على العيشِ طيلة العمر في هذا المنزل؟

في البُعد لم أقوى على تخطّي الأمر كيف الآن سأتخطّاه و أنا بداخلِ الكابوس.

خرجتُ من الغرفة ألملمُ شتات نفسي ذهبتُ إلى غرفتي فبكيت، بكيتُ بكاءً شديدًا و مع كلّ دمعة كنتُ أروي قصّتي من جديد.

في الصباح الباكر حيث يبدو أنّ الجميع مستيقظون و صوتُ هيما الناعم تتبادلُ الأحاديث معهم.

خرجتُ من غرفتي دخلتُ غرفة الجلوس : صباح الخير

_صباح النور

ابتسمت هيما: كيف حالكِ يا ابنة خالي الجميلة.

أجبتها بابتسامة جامدة: بخير يا ابنة عمّتي.

تردّدت هيما ثمّ قالت: كنتُ أخبرهم بأن يصعدوا معي منزلنا لنفطرَ سويّةً لكنّهم رفضوا من أجلك، أرجوكِ وافقي لنذهبَ جميعًا و أعدك إنْ كنتِ تريدين الجلوس بمفردك سأجعلك تجلسين بغرفتي و لن

يزعجك أحد.
سكتُّ قليلًا لأرى في عيونهم جميعًا نظرة التودّد للذهاب معها.
أطلقتُ تنهيدة طويلة ثمّ أخبرتهم: ربّما متوحّدة لكنْ اطمئنوا لستُ أنانيّة سأذهبُ حيث تذهبون لن أكون عائقًا أمامكم.
ذهبنا مع هيما الّتي كادت أن تطيرُ من فرطِ سعادتها ، كانت عمّتي في المطبخ تجهّز الإفطار و تتحدثُ مكالمةً مع زوجها الّذي كان في العُمرة . حينها أخذتُ دفتري معي لأني كنتُ أعلمُ أنّ زيارتنا هُنا ستطولُ لساعات فأحاديثهم الّتي لم تنتهِ في الأمس سيكملونها الآن.
جلسنا نتناول الطعام أخذوا يتبادلون أطراف الحديث الّذي عرفتُ منه أنّ أحمد في الصفّ العاشر و قريبًا قصّة فشله الدراسيّ سيحكي بها الجميعُ، و يوسف قد تخرّج هذا العام من كليّة الإرشاد النّفسيّ، و هيما كأختي رهف سنة أولى في اللغة الإنكليزيّة.
كنتُ أستمعُ إليهم بصمت و كلّما حاولوا مشاركتي بأحاديثهم اختصرتُ أمامهم الطريق بكلماتٍ قليلة.
أنهينا طعامنا ثمّ أخذ كلّ منّا أريكةً يجلسُ عليها، حيث عادوا إلى أحاديثهم و أنا أمسكتُ بدفتري أكتبُ فيه الجزء الأخير من القصّة الأخيرة الّتي كنت أنسجها تحتَ عنوان "ما بين الحاكم و المحكوم عليه"

لا أدري كم مرّ من الوقت و أنا ممسكةٌ بدفتري حتّى سمعت أصواتهم تتعالى استهزاءً بأحمد الذي يريدُ مَن يساعده في حلّ الواجب فلم يستطع أن يحلّ المسألة بمفرده..

أصواتهم شتّتت أفكاري في الكتابة فوضعتُ دفتري جانبًا ثمّ رحتُ أنظرُ إليهم بصمت وأحمد يتودّدُ إليهم حتّى جاء إليّ ينظر مبتسمًا بتفاؤل: ريم ألستُ أخاك؟ أرجوكِ ساعديني.

تأملتُ ملامحه المضحكة فهي تذكّرني بجميع الأغبياء الّذين كانوا معي في الصف.

أخذت منه الدفتر لأحلّ المسألة وما إنْ رفعتُ رأسي لأعطيه دفتره لم أجده.

يا له من مراهقٍ غيرَ مبالي!

حلّ المساء وعمّتي ما زالت تمنعنا من الذهاب، أخواتي وأمي مستسلمات أمام عمّتي وقد بدت على وجوههن السعادة بالجلوس معها، ثم قررن النزول إلى الحديقة لتناول المثلجات.

لم أكنْ أرغبُ أبدًا بالنزول معهن فأخبرتُ أمي: اذهبن أنتن، سأبقى في المنزل بمفردي

رفضت أمي ذلك و رأيتُ الحزن في عيون أخواتي خوفًا أن أتسبّب بأيّ مشكلةٍ عند هذا المساء.

استسلمتُ لأمري على مضض ثمّ ذهبنا جميعًا إلّا يوسُف بقيَ في

المنزل.

لم تكن الأجواء كما توقّعت فقد كانت الحديقة هادئة جدًا يكسوها الثوب الأخضر من كلّ جنب.. الأضواء الصغيرة الملوّنة بها تسرقُ الفؤاد قبل النّظر.

مشَيْنا لبعض الوقت حتّى قرّر أحمد أن يأخذني معه يريني مكانًا مميّزًا في الحديقة ليكون ذلك مكافأةً منه على حلّ المسألة.

أعجبتني فكرة أحمد فالمناظرُ هنا خلّابة كيفَ إذا أخذني إلى مكانٍ أجمل.

وافقتْ أمي على طلبِ أحمد باصطحابي وشعرتُ بنظرة السعادة في عينيها كوْنها رأتني هادئة الملامح لست غاضبة، غبنا عن عينيها وهيَ ما زالتْ توصي أحمد بأن ينتبه عليّ.

مضَيْنا وما زال أحمد يثرثرُ كثيرًا وبكلّ مرّة أردّ عليه ببعض الكلمات.

في ذلك الوقت لم أكن أدري أنّه في مكانٍ ما قد فتح أحدهم دفتري الّذي نسيته في بيت عمّتي.

بينما أتأملُ تفاصيل المكان أخبرني أحمد أن أبقى في مكاني حتّى يأتي بشيء ما نأكله.

وقفَ أحمد ينتظر دوره أمام بائع الغزل و الذرة، بينما أنا قد تاهت عيوني في سحر المكان، بدأت خطواتي تسرقني من نفسي بل و

كما يبدو أنّها سرقتني من أحمد.

لا أدري كم مرّ من الوقت عندما صحيتُ من شرودي لأجدَ نفسي في مكانٍ غريب.

يبدو أنّ هذه الحديقة أكبر مما تصوّرت فلها أكثر من مدخل.

بوسعي القَوْل: لقد ضعت

بدأت الأفكارُ ترتطمُ برأسي "أمي" "أخواتي" يا إلهي لا بدّ أنّهن خائفاتٍ عليّ و "أحمد" لا بدّ أنّ الجميع سوف يضعُ اللومَ عليه.

يجبُ أن أعود إليهم في أسرعِ وقت لكنْ كيف يا إلهي فلم أعُدْ أعرف طريق العودة و لا أعرفُ طريق المنزل!

بدأ الرعبُ يتسلّلُ إلى قلبي حاملًا معه جميع المشاهد المخيفة حتّى وصلتُ إلى فكرة مفادها أنّ الخروج من هذه المتاهة هو الحلّ الأفضل.

سألتُ امرأةً مرّت بقربي عن باب الخروج من هذه الحديقة فأشارت لي إلى أقربِ بابٍ لهذه الزاوية.

ظننتُ أنّ الرهبة الّتي بداخلي سوف تتلاشى مع خروجي من هُنا ولم أدرك أنّ خوفي سوف يزداد.

مشَيْتُ بالطرقات أتلفّتُ حولي يمينًا وشمالًا خوفًا من طريقٍ مجهول.

يبدو أنّه قد مرّ من الوقت ساعتان أو أكثر وحلكة الليل قد

ازدادت.

حتّى سرى الخوف مع دماءِ شراييني فأثقلَ قدميَّ عن الحركة، جلستُ إلى مقعدٍ قريب لا طاقة لي بالنظر للأعلى ثمّ أخذت عينايَ تتأملُ الأرض ولون أحذية المارّة.

كادَتْ دمعتي أن تسقطَ على الأرض لتخبرها أنّ فتاةً ضائعة قد مرّت من هُنا في الحين الّذي جاءني به ذلك الصوتْ: ريم

رفعتُ رأسي لأرى يوسف أمامي الّذي سكتَ لتتحدث أنفاسه المتضاربة المرهقة بأنّه قد ركض مسافةً طويلة حتّى وصلَ إلى هنا.

وقفتُ من مكاني، نظرتُ إليه نظرة الغريق الّذي تعلّق بقشٍ.

قالها متلهّفًا: هل أنتِ بخير؟

أومأتُ رأسي بالإيجاب.

يوسف: هيا لنذهب الجميع بانتظارك.

تقدّمت خطوَةً للأمام لكنْ قدماي ما زالتا ترتجفان توتّرًا وخوفًا.

لم أقوَ على المشي فقد انكمشتْ أعصابي أشعرُ أنّي لستُ بخير

رأى يوسف حالتي فأخبرني: لا بأس سأتّصل بمحمّد يأخذنا.

ارتاحي قليلًا بينما يأتي.

اتّصل يوسف بأمّي أعطاني الهاتف لأُسمِعها صوتي فيرتاح فؤادها الّذي كان يتأجّجُ خوفًا.

ما إن طمأنت أمّي، اتصل بمحمّد الّذي كان أيضًا مشاركًا في البحثِ عنّي.

أنهى حديثه مع محمّد أغلق الهاتف ثمّ جلس على طرف المقعد كنتُ ما زلتُ واقفة عندما قال لي: اجلسي بينما يأتي محمد فربّما يتأخّر قليلًا فهو بغيرِ شارعٍ وقد ركنَ السيارة بعيدًا.

كانت علامات التّعب واضحةً عليه، كنت أراقبه بين الحين و الآخر بينما يضعُ رأسه بين يديه يمسحُ الماء المنصبّ من شعره.

كنتُ قد جلستُ أيضًا على نفسِ المقعد في الطرف الآخر عندما نظرَ إليّ نظرةً عميّقة ذاتَ معنى: هل أنتِ حقًّا مريضة؟؟

أجبتُه: هكذا يقولون!

يوسف: لكنّ المريض لا يأتي بما أتيتِ به أنتِ من كتاباتٍ وروايات.

عند سماعي تلك الكلمات قمت مباشرةً بفتح حقيبتي للبحث عن دفتري فلم أجده.

تغيّرت ملامح وجهي، سألته: كيف لكَ أن تقرأ ما في دفتري؟

انتَبَهَ إلى غضبي فردّ مبرّرًا: لم يكن ذلك عن عمد، رأيته جانبًا و يشبه إحدى دفاتري ، عندما فتحته فوجئتُ بفحواه الّذي كلّما قرأتُ كلمة جذبتني لأقرأ التالية..

ازداد غضبي منه فانعكس ذلك على نبرة صوتي فازدادت حدّة :

ماذا قرأت؟

يوسف: كان العنوان (ما بين الحاكم والمحكوم عليه)
"سكت القاضي مرّةً أخرى ثم قال إنّي لأحكم بالعدل والعدل يقول بأن هذا المتّهم ليس بمجنون ويجب أن يُقسِمَ يمينًا أنّه بريء"

سكتَ يوسف قليلًا ثمّ أكمل: كان هذا آخر ما قرأته ثمّ اتّصلوا بي للبحثِ عنك.
عمّ الصمتُ ثوانٍ معدودة ثمّ أطلقت العنان لكلماتي بصوتٍ هادئٍ يشبه هدوء هذا الليل:
(سكت القاضي مرّةً أخرى ثمّ قال إنّي لأحكم بالعدل والعدل يقول بأن هذا المتهم ليس بمجنون ويجب أن يقسِمَ يمينًا أنه بريء.

تحدّث محامي الدفاع عن موكّله فقال: يا سيدي القاضي و ما هذه الأوراق أُنظر جميعها أوراق تثبت تخلّفه العقلي و هذا يعني أنّه قتل زوجته عن طريق الخطأ و بالنهاية نجد أنّه ليس على المجنون حرج.

ارتفع فجأة صوت القاضي، نطق بتلك الكلمات: أقُلْت لي بأنّه مجنون!
والله إنّ المجنون من جنّ عليه اللّيل ولم يصلِّ ركعتين لله و إنّي رأيته قبل يوم من الحادثة كان في المسجد يصلّي، إنّ المجنون من

وقف بين يديّ ربه بعد صلاة الفجر ثم ضيّع أذكاره و أدعيته و ذهب من المسجد قبل أن يدعو بها و لكنّي سمعته في ذلك الحين كيف كان يدعوا الله بتضرّعٍ و يُسبّح، بعد هذا تقول لي أنّه مجنون!!

ناهيكَ عن الأسباب التي دفعته لقتل زوجته وعلى الرغم من كوْنه ليس إنسانًا سيّئًا لكنّه يحاول عدم كشف جريمته والآن أخبروني بالله عليكم أأنتم تحتالون على المحكمة أم على الله؟

بعد تلك الكلمات سقط الجاني أرضًا يبكي و يقول: والله إنّي لست بمجنون أجل أنا القاتل أنا من قتلها بعد أن ظننتُ بها سوءًا ثمّ اكتشفتُ أنّها طاهرة بريئة، فكّرتُ بأني إنْ احتلتُ على المحكمة سأذهب و أتوب إلى الله لكن العدل عدل و القصاص قصاص فأودعوني بالسجن عسى توبتي تبدأ من بابه).

أنهيتُ كلماتي تلك و ما زال يوسف يراقبني بصمت حتّى قال: و بعد ذلك يصفونكِ بالجنون!

رددت بهدوء متجاهلة كلماته: أريد الدفتر.

يوسف: حينما نعود أرسله مع أحمد.

شكرًا... قلتها ولم أكن أدري أنَّ هذه الكلمة سوف تغيّر كلَّ ملامحه فتجعل كلّ ما به من إرهاق يختفي ثمّ يبتسم لي بلطف.

في ذلك الحين وصل الجميع في السيّارة وما إنْ رأتني أمي حتى ركضت عانقتني عناقًا حميمًا يحكي مدى خوفها، دموعها كانت تتساقط دونَ استئذانٍ، لهفة أخواتي رهف وحنين كادت تغمرني.
بدأت الأيام تمرّ على وتيرتها وقد تماشيت مع العيش في هذا المنزل حتّى باتوا يذهبون إلى عمّتي دون أن أخرج معهم.
ذاتَ يومٍ كان محمّدٌ وزوجة عمّي يجلسون جميعًا مع أهلي في بيت عمّتي يتحدّثون بشأن تجهيزات عقد القران.
بينما أنا في منزلنا أجلسُ بمفردي عندما بدأ الباب يطرقُ بشدّة.
نظرتُ من العين الساحرة للباب فإذا هي ابنة جارتنا الصغيرة تطرق الباب و تصرخ مستنجدة
خرجتُ متلهّفةً لأرى أمّها ملقاةً على الأرض تبدو أعراض الجلطة عليها ,فمها بدأ بالاعوجاج، و جسدها يرتعشُ بقوّة.
شعرتُ بالخوف من هذا المنظر و شيء غريب تحرّك بداخلي فلا أريد رؤية تلك المرأة تموت أمام عينيّ فأنا أكرهُ الموت، أكرهه منذ فارقتُ أبي. وبعد أن راودتني مئات الأفكار في لحظة واحدة عدتُ إلى المنزل قمت بسرعةٍ بتعقيم إبرة ثمّ أمسكت بِيَد المرأة بكلّ قوّةٍ في تلك الأثناء عندما جلستُ على ركبتَيْ قربها حضر كلّ من سمع الصوت من أهل البناء حتّى أمي وعمّتي وزوجة عمّي والشبّان معهم يبدو أنّهم قد خافوا أن يكون ذلك الصوت مصدره

منّي فنزلوا ووجوههم مصفرّةٌ من الخوف.
قام أحدهم بطلب الإسعاف بينما أنا قد ثبتُّ يدها في حضني بقوّة.
قالتها أمي بريبة وقلق: ريم ما هذا؟
وبدأت تشدّني إليها خوفًا منها أن أكون قد أعلنت جنوني الآن!

لم أكترث لأمي ورغم ذلك الصخب الذي حولي أغمضت عينيَّ قليلًا ثمّ فتحتهما، بدأت بوخز أصابع يدها بالإبرة، كانت أمي بكلّ مرّة تحاول إبعادي عن تلك المرأة التي أوشكت على الموت لكنّي لم أصغِ لأمي ولا لنداءات الآخرين بالابتعاد عنها فربّما ظنّوا جميعًا أنّني حقًّا مجنونة.
انتهيتُ من وخز المرأة بأصابعها حتى بدأت الدماء تخرج منها، في تلك اللحظة هدأ ارتعاش جسدها فرفعتُ لها رأسها ثمّ طلبت منها أن تقطّب حاجبيها.
كانت تستجيب لما أطلبه لِما شعرتْ به من تحسّنٍ فقطّبت حاجبَيها.

حينها ابتسمتُ لها أحدّثها: أسرعي يا خالتي بالشفاء وإلّا وجد العمُّ حجّةً للزواجِ عليكِ حينها سأخرجُ معه للبحث له عن زوجة لتقومَ على خدمته.
لم تتمالك نفسها ثم ضحكتْ ربّما على صدقِ كلامي أو براءة حديثي فلا أدري!

بعد لحظاتٍ قليلة عاد فمها كما كان وشعرتُ بتحسنّها الواضح حتى استقرّ وضعها قبل أن تذهب إلى المشفى وتكمل علاجها.
كنتُ أرى نظرة الذهول في عيون الجميع حتّى وإن لم أنظرُ إليهم فقد كنتُ أشعرُ بها!
كانت أمي تارةً تنظر إليّ وتارةً إلى تلك الخالة الّتي كانت للتوّ مستلقية أرضًا حالتها سيئة.
هُنا حيثُ شعرت بما بدرَ منّي وتذكرتُ الأشخاص حولي استدرت مباشرةً علامات الغضب تعتليني من نظراتِ الجيران، دخلت الغرفة أتنفّس تنفّس الصعداء تاركةً خلفي ابتسامتي الّتي كما يبدو أنها قد بقيت عالقة في أذهان الجميع.
وصل الإسعافُ حيث سمعت الطبيب يخبرهم أنّه قد تمّ اتّخاذ الإجراءات المناسبة في الوقتِ المناسب.
ذهب الجيران إلى منازلهم وما زال صوتُ أقاربي أمام منزلنا.
أحمد: زوجة خالي هلْ بالتأكيد ريم مريضة؟
محمّد في نبرةِ تساؤل: أو أنّ معها انفصامًا في الشخصيّة!
عمّتي: من كان يظنّ أنّها ستتحدثُ بتلك العفوية وتبتسمُ بتلك الطريقة الجميلة.
أمي بنبرةِ تفاؤل: لا أدري أنّا حقًّا شأني شأنكم ما زلتُ عالقةً في صدمةِ الحادث لكنْ ما أدركته الآن أنّه ما زال هناكَ أملٌ في

شفائها.

حينها كلّ واحدٍ منهم عبّر عمّا كان يختلج بداخله إلّا يوسف!

لا أدري لماذا لم يعلّق بشيء رغمَ نظرته للتوّ الّتي لمحتها وهيَ تحوي الكثير من التعابير.

تعابيرٌ تخبرني " أنتِ لستِ مريضة لماذا يتّهمك الجميع بذلك! "

عادوا جميعًا إلى بيت عمّتي لكن أمي دخلت المنزل جاءت إليّ حيث كنتُ جالسةً على الأريكة جلستْ بجانبي وضعت يدها الحنونة لتلمسَ بها وجهي.

كانت الدمعة عالقةً في مقلتها تلك الدمعة الّتي أخبرتني عن حزنِ أمي الممزوج بأملها في شفائي.

قالتها بهدوء: من أين تعلّمتِ ذلك؟

أجبتها: في المدرسة

فقالت: ريم لم أركِ هكذا من قبل أرجوكِ يا حبيبتي ابقي دائمًا مبتسمة كما اليوم.

سكتُّ قليلًا ثمّ أخبرتها بجمود: لم أكُن أبتسم لقد فعلتُ ذلك عمدًا حتّى تضحك تلك المرأة فتخفّ أعراض الجلطة عنها.

ابتسمت أمي: حتّى إنْ كان كذلك فقد كانت ابتسامتك جميلة.

هدأت ملامحُ وجهي حتّى حاربتُ أفكاري في هذه المرة وابتسمتُ لأمي ابتسامةً تليقُ بجمالِ قلبها.

ابتسامةً أخبرتها بها أنا أحبّك، أحبّك كثيرًا يا أمّي على الرغمِ من عدم إخباري إياكِ ذلك من قبل لكنّي أحبّك بكل جوارحي وبكلّ ما أوتيتُ من مشاعر.

بادرت أمي إلى معانقتي فعانقتها حتّى شعرتُ ولأوّلِ مرّةٍ في حياتي كم أنا بحاجة إلى هذا الحضن الدافئ الّذي لطالما ابتعدتُ عنه وجافيته ربّما غباءً منّي أو فعلًا لأنّي مريضة!

بعد قليلٍ عدنَ أخواتي اللّواتي رأيتُ بريق الفرحِ في عيونهنّ.

فهذه حنين كلّ تارةٍ وأخرى تنظرُ إليَّ بتعجّبٍ حتّى أخبرتني: بالله عليكِ ألم تتعلمي ذلك عندما أصابت تلك الأعراض مدير المدرسة وقام الأستاذ طارق بفعلِ ذلك!

أجبتها: بلى.

ردّت بحماسها المعتاد: ما أجملك يا أختاااه لا تهدرين موقفًا إلّا تعلمتِ منه حماكِ الله من أعين الجيران الّذين أصبحتِ الآن حديثهم.

التزمتُ الصمتَ واكتفيتُ بالنظرِ إليها نظرةَ امتنانٍ.

رهف بابتسامة: حبيبتي الصغيرة غدًا إنْ شاء الله سوف نذهبُ جميعًا إلى السوق حتّى نشتري الذهب فما رأيك بالذهابِ معنا؟

أجبتها بهدوء: اذهبوا جميعًا لا عليكم منّي فلا أرغبُ في الخروج

رهف بتودّد: أرجوكِ فكّري بالأمر.

رددت: ألا يكفيكِ أن تكون دعواتي معكِ؟

ابتسمت رهف: لا حرمتُ تلك الدعوات يا شقيقة القلب.

كانت تلك الليلة هادئةً شعرتُ بها أن مشاعري المكنونة منذ عودتنا إلى هذا المنزل باتت تغلبني

في الحينِ الّذي لم أكُنْ أدري به أنّ هناك من يتأرّق من شدّة التفكير بجنوني.

غبي!

يبدو أنّه كان يطبّق نظرياته الّتي تعلّمها في علمِ النفس على تحليلِ شخصيّتي.

انبثق ضوءِ النهار ليعلنَ أحداثًا جديدة لم أكُنْ أحسبُ لها يومًا.

ذهبت أمي وأخواتي برفقة عمّتي لكي يذهبن جميعًا مع زوجة عمّي إلى السوق.

وأتت هيما إليّ ومجرد أن فتحت لها الباب أخبرتني بلطف:

اطمئني لن أزعجكِ يا جميلتي فقط نحن لا نرغب بتركِكِ وحدكِ وجميعهم خارج العمارةِ كليًّا، وأنا لا أستطيع أن أفعل كزوجة خالي كلّ ربعِ ساعة النزول والاطمئنانِ عليكِ فنظراتُ الجيران لا ترحم أليس كذلك!

أجبتها: حللتِ أهلًا وسهلًا في منزلك.

جلستُ مع هيما الّتي بدأت تأخذني في أحاديثها إلى عالمِ الطفولةِ

والذكريات البريئة.

هي تتحدّث وأنا أغرق في بحر مشاعري.

مرتّ نصف ساعة من حديثها المتواصل الّذي لم أشعر خلاله بالملل حتّى قطع حديثها رنّة الهاتف.

شعرتُ بالغضب من صوته المفاجئ لقد اعتدتُ ألّا أجيب فأهلي هم من يجيبون على الاتصالات.

رنّ الهاتف أكثر من مرّة حتّى نظرت هيما إليّ، سألتني: أجيب؟

أجبتها: أجل

ثمّ كانت الصدمة عندما ردّت هيما حتّى بدأت ترتجف باكية: لا، مستحيل

وفجأة سقطت سماعة الهاتف من يدها

انتابني الخوفُ و الرعب فأخذت تلك السماعة بيديْن ترتجفان: مَنْ المتّصل؟

كانت الصدمة لي أيضًا عندما ردّت رهف....

في ذلك الوقت لم أحتمل ما سمعت أخذتُ ألتقطُ أنفاسي أضع يدي على قلبي بخوف فقدتُ القدرة على التحكم بأعصابي أكثر حتّى سقطتْ ركبتَي على الأرض

ثمّ صرخت بصوتٍ يرتجف: لاااااااا
يبدو أنّ صوتي قد اخترقَ سمعهم حتّى في ثوانٍ معدودة كانا أحمد ويوسف يطرقان الباب بشدّة.

فتحتْ هيما الباب بيدَيْن ترتعشان سألها يوسف مذعورًا: ما بكما ؟!
من شدّة البكاء تلعثمت هيما: أ أمي، زوجة خالي
ثمّ صرختْ بصوتٍ عالٍ ممزوج بالدمعات: لقد تعرّضوا لحادثٍ خطير أدّى إلى وفاة زوجة خالي و حنين و جرح أمي.
يوسف بصدمة: م ماذا! كيف علمتِ بذلك!؟
هيما: رهف اتّصلت بِنا الآن
وضع أحمد يديه على رأسه من هَوْل المصيبة أمّا أنا فقد كنت أضحكُ تارةً و أبكي أخرى أحدّث نفسي: أبي ذهب! أمي ذهبت! حنين ذهبت! هههههههههههه
يوسف بقلق: ريم هدّئي من رَوْعك
بينما أنا قد زادتني تلك الكلماتُ غضبًا كيف لي أن أهدأ وقد خسرتُ أهلي، وقفتُ من مكاني مشيتُ خطواتٍ متثاقلة أرمي و أكسر كلّ ما أراه أمامي حتّى باتَ شكلي مخيفًا جعل كلّ من دخل من الجيرانِ على صوتنا يخرجُ مسرعًا خائفًا إلّا أبناء عمّتي فهم وحدهم ما زالوا بقربي، ملامح وجوههم تحكي خوفهم عليّ و ليس منّي.

عانقتني هيما بشدّة عناقًا طويلًا جعلني أتجمّد في مكاني هدأتُ قليلًا ثمّ ذهبنا إلى المشفى حيثُ ركضتُ في أزقّته كالمجانين، وصلتُ إلى رهف الّتي امتلأ وجهها خدوشًا، بقربها جثّة أمي و أختي وبمجرد أن رأيتهما تجمدتُ عن الحركة، سألتُها بصدمة: هل حقًّا لن تعودا مرّة أخرى؟

اقتربت رهف عانقتني عناقًا شديدًا: لقد ذهبتا.

ابتعدتُ عن رهف، اقتربت منهما حيث لم يظهر منهما سوى الوجه و باقي الجسد مغطّى

جلستُ على الأرض أضحك بشكلٍ هستيري:

لو كنتُ أعلمُ أنّ عناقنا بالأمس عناق وداع لما فعلت، خُذاني معكما، خُذاني معكما.

أحمد: الفتاة قد جنّت

يوسف بقلق: يا إلهي إنْ بقيت هكذا سوف نخسرها أيضًا.

اقتربت رهف و لم تلمسني بعد حتى انتفض جسدي وقفت أشتعلُ غضبًا أتنفس الصعداء صرختُ عاليًا: ابتعدي عني

كانت الممرضة تحاول أيضًا الاقتراب منّي لتهدئتي فلم أحتمل حتّى عادتْ لي نوبة الجنون تلك. أمسكتُ زجاجة دواء قد وُضعت على طاولة بقربي قمتُ بكسرها بسرعة وبقي الجزء الحاد منها بيدي، صرختُ ضاحكةً و دموعي تسيل من عينيّ في آن واحد:

لا تقتربوا و إلّا قتلتُ نفسي

دخلت عمّتي الغرفة في ذلك الحين و هي مجبّرة اليد حاولت تهدئتي ليزيد ذلك شرارة غضبي، أمسكتُ قطعة الزجاج بسرعة حتى أقطع بها أوردتي و فجأةً شعرت بشيءٍ حاد قد غُرِزَ في كتفي جعل قواي تخرّ فكما يبدو أنّ الطبيب لم يجد لإيقافي حلًّا غير ذلك.

ظلامٌ حالك لم أشعل حتى بصيص ضوء كنتُ أجلسُ على كرسيّ في منتصف الغرفة تارةً أضحك وأخرى أبكي تارةً أهزّ بجسدي للأمام وأخرى للخلف ما زالت صورتهما بيدي أتأملها وأبكي، كأنّ مشاعري المكبوتة طيلة تلك السنوات قد خرجت الآن على شكل دموع ترثي أمي وأختي وأيضًا أبي! بكلّ مرّة تزيد بها محاكماتي العقليّة كنتُ ألطمُ بها وجهي معاقبةً نفسي، كيف هدرتُ كلّ تلك السنين معهما دون أن أكونَ معهما!

أيّ نوعٍ من القلوب أملك حتّى كنتُ بذلك الجفاء.

بكيتُ في هذه الليلة بشدّة بكيتُ حتّى غرقتُ في بحر دموعي أتوسل الله كطفلٍ صغير فقد أمّه هههههه لا، لا. بل حقًّا قد كنتُ طفلًا فقدَ أمّه وأيضًا أخته: يا رب يا رب أعدهما للحظة واحدة

حتّى أخبرهما كم أحبّهما حتى أخبرهما أنّي لستُ بجاحدة، أعدهما أو خذني إليهما يا الله يا الله.

كانت الأيام تمرّ كأنّها ليست منّي زادت حدّة طباعي، إرضائي أصبح كإحدى عجائب الدنيا السبع. في الشهرين الماضيين جلسنا عند عمّي فلم يكن لدينا سواه حيث تزوّجَت رهف من محمد ضمن أجواء تكسوها مراسم العزاء أمّا أنا!

فإلى اليوم ما زلتُ في قوقعة أحزاني أخوض كلّ يومٍ معارك مع نفسي في هذه الغرفة الّتي احتللتها من بيت عمّي طيف أمي لم يفارقني للحظة وابتسامة حنين في تلك الليلة لم تغب من ذاكرتي أبدًا.

لا يمكنني أن أنكرَ معاملة عائلة عمّي معنا ومدى اهتمامهم بنا لكنْ!

صوتُ الأطفال هنا باتَ في كلّ مرّةٍ يخنقني يجعلني أشعرُ بشراييني وأوردتي كيف تتقطّع بداخلي فتزيد ألمي ألمًا.

كنتُ أرى ما تبقى من أشلاء روح رهف أمامي صامتةً تخنقها العبرات تأتي غرفتي تواسيني فيغلبها صمتي حتّى تبكي هي الأخرى.

حتّى جاء اليوم الّذي زادت به ضجّة الأولاد ...احتللتُ منزلهم وأريد منهم الصمتْ!

أيّ نوعٍ من الضيوف أنا؟

ضيفٌ ثقيل الدم لا يُحَبّ ولا يُحتمَل.

زادت أصواتهم فزادت ضربات قلبي، تعالت ضحكاتهم فتعالت أنفاسي.

حتّى نفذ صبري بدأت أصرخ وأرمي كلّ ما أراه أمامي.

دخلتْ رهف معها الجميع إلى الغرفة مذعورين لا يعلمون ما يحصل هنا.

كلّما اقترب أحدٌ منهم ليهدّئني زاد صراخي وبكائي.

سقطتُ على ركبتي أمام عمّي أخذتُ يده أمسكتها بكلتا يديّ: أرجوك عمّي، أتوسل إليك أريد الذهاب إلى منزلنا.

زادت دمعاتي وشهقاتِ بكائي: عمّي أدركُ أنّك تحبّنا أدركُ أنّ ما قدمته لنا في هذه المحنة لا يقدّمه أحد لكن أنا أختنق أنا أموت أرجوكم دعوني أذهب فأرتاحُ و يرتاح كلّ من بقربي.

نزل عمّي إلى مستوايَ عانقني عناقًا يذكّرني بأبي بادرته العناق بقوّة لعلّي أضحكُ الآن على نفسي قليلًا فأشعرُ أنّ أبي بقربي.

لمحتُ عيني رهف اللّتان لم أعد أرى لونهما العسليّ من شدّة بكائها، نظرتُ حولي فرأيتُ الذعرَ والخوفَ في عيون الأطفال.

نمتُ الليلة في أحضان رهف ولم أستيقِظ سوى على صراخٍ بالكاد يسمع كان صوتُ زوجة عمّي تعاتبُ رهف كيف لها أن تطلبَ تركَ المنزل والذهاب معي إلى منزلنا.

فما كان جواب رهف إلّا: لكنْ هذه أختي

زوجة عمّي: وهذا أليسَ زوجك!

كان صوت محمد يحاول تهدئة الأمر بين الطرفين وزوجة عمّي تخبر رهف أنّ مَرضي مستمرٌ ليس يومًا وأعود إلى طبيعتي ولن تقوى على فراقِ ابنها.

بكاء رهف أحرق كبدي وزادته حرقةً عندما قالتْ: هذه أختي ولن أتركها حتّى إنْ كان المقابل طلاقي وقعت كلمة الطلاق على قلوب الجميع فزاد غضب زوجة عمّي: هذا جزاءُ من يفعل الخير يا رهف، لقد تحمّلنا جنون أختك بما يكفي ولم نظهر لكِ ذلك خوفًا

على مشاعرك، و محمّد انتظرك كثيرًا ليهون عليكِ الفراق في هذه السهولة!

يبدو أنّ رهف قد سكتت تمامًا حتّى اخترق صمتها قولها: شكرًا على تحمّلكم جنون أختي وشكرًا على كلّ ما قدمتموه لنا.

ذهبت رهف إلى غرفتها وبقيَ محمّد يلقي اللوم على أمّه وأنا في غرفتي ألقي اللوم على نفسي فما يحدثُ مع أختي كلّه بسببي.

كانت ليلةً ثقيلة على القلب لم أكن أدري أنّ هناك مَن يشعرُ بالثقل فيها غيرنا لم أكن أدري أنّ هناك من يهمّه أمري غير أختي.

بعد ليلٍ حالكٍ وأخيرًا انبثق النور لتنبثق معه مفاجآت لم تكن بالحسبان.

خرجت رهف من غرفتها وهي بكامل استعدادها للذهاب من هذا المنزل لحق بها محمّد فدخلا الاثنان غرفتي أختي تطلب مني الاستعداد للرحيل و محمّد يطلبُ منها عدم الرحيل و يعدُها أنّه سيجد حلًّا للأمر.

لم يلبثا على هذه الحال دقائق قليلة حتّى دخلا أيضًا عمّي و زوجته الّتي ظهر على وجهها الحزن.

لم تعطِ رهف أيّ اهتمامٍ لوجودهما. أعادت قولها لي بأن أستعد للذهاب على عكسِ زوجة عمّي الّتي اقتربت من رهف و اعتذرت منها بكلّ صدق، عمّ الصمت المكان ثوانٍ قليلة.

رهف تدرك أنّ زوجة عمّي طيّبة القلب لم يكن بقصدها و في الوقت ذاته لا تريد أن تتركني وحدي و بينما هم في نقاشٍ حميم يوحي بتصالح النفوس.

فاجأتُهم عندما نطقتُ أخيرًا: ربّما أنا المتسبب في هذه المشكلة لكن أعدكم لن يحصل شيء كهذا في المستقبل.

نظرَ جميعهم إليّ نظرة ريبةٍ وصدمة!

حتّى ألحقتُ كلامي بقوْل: سأعود إلى مصر، لقد أرسلتُ إلى خالي عامر و في نهاية الأسبوع إن شاء الله سوف يأتي لاصطحابي.

تفاجأ الجميع من ردّة فعلي حتّى أنا تفاجأتُ من سرعة قراري هذه المرّة فلم أكُن أقوى على رؤية حياة رهف تتدمرُ بسببي فكان ذلك الحلّ الأمثل أن أذهب إلى خالي رغم قساوة امرأته لكن يكفيني أنّ منزله هادئ سوف آخذ منه ركنًا أعيشُ فيه بقيّة حياتي حتّى الموت و لا أكلّفُ أحدًا عبء أمري و مرضي الّذي لا يحتاج سوى للهدوء.

اعترضتْ رهف على قوْلي أمّا البقية فقد سكتوا تمامًا فهم لا يعرفون زوجة خالي و ربّما قد ظنّوا أنّني سوف ألقى في مصر معاملة جيّدة لذلك قررتُ الذهاب إليهم.

جادلتني رهف فأكثرت جدالي حتّى غضبتُ منها و أخبرتها بأنّ هذه حياتي الخاصة و لا أريدُ منها أن تتدخّل بها.

خرجت رهف مكسورة المشاعر بينما أنا كنتُ أجهّزُ نفسي للانتقالِ قريبًا إلى الجحيم ذاك الجحيم الّذي سوف أذهب إليه بقدمَيْ فقط لتعيش هيَ في النّعيم، فكنتُ أدركُ أنّ سعادتها و مرافقتي لن تلتقيان.

خرجَ الجميع من غرفتي و بقيتُ بمفردي أرتّبُ شتات أفكاري.

حتّى جاءت عمّتي عصرًا فقد علمتْ ما حصل دخلت عندي ألقَتْ تحيّتها ثمّ جلستْ تتأملني على غير عادتها كالأمّ الّتي تذهب لتخطبَ عروسًا لابنها.

كان التّفكير بالأمر مضحكًا حتّى كانت عمّتي فعلًا كذلك. اخترقت صمتها وأخيرًا حين قالت: أخبرتني رهف بما صنعته زوجة خالك معكم طيلة تلك السنين كيف لكِ أن تذهبي إليها بقدميك؟

سكتُّ و لم أجب.

أعادت عمّتي النظر إليّ مجدًّدا كأنّها تتأمل جنوني حتّى قالت:

ما رأيكِ بالذهابِ معي إلى منزلي.

نظرتُ إليها بسخرية هل يعقل أنّ عمّتي قد جنّت كيف لها أن تقول هذا وعندها في المنزل ابنًا شابًّا.

حتّى أكملت حديثها: ما رأيك بالزواج من يوسف؟

أنهتْ كلامها تحت صدمتي حتّى أطلقتُ تلك الضحكة الجنونيّة الممزوجة بالحزن و الأسى

كيف لعمّتي أن تضحّي بابنها من أجلي

أجبتها و ما زالت ضحكتي على وجهي : عمّتي أرجوكِ لا تجعلي من ابنك كبشَ فداءٍ لمشاكلي.

فاجأتني عمّتي بجديّتها بالأمر حين قالت: لكن هذه رغبة يوسف و عندما علم بذهابك إلى مصر لم يحتمل الأمر و طلب مني التحدّث معك.

في ذلك الحين غابت ضحكتي و تحوّلت سخريتي إلى جديّة: عمّتي إنْ كنتُ قد تيتّمتُ هذا لا يعني أنّي ضعيفة و سوف أرمي همومي إلى غيري لحملها.

قاطعتني: لكن هذه رغبة يوسف

غضبتُ من إصرارها فارتفعت نبرة صوتي دون قصد: بالتأكيد لن يرغب أيّ عاقلٍ بالزواج من فتاةٍ مجنونة

أرجوكم دعوني و شأني ، لا ترهقوا أنفسكم بي.

صمتتْ ثمّ خرجتْ شأنها شأن كلّ من يحاول إقناعي بما لا أطيق خائفةً من مجادلتي أكثر فأجنّ أكثر.

تركتْ خلفها قلبي يخيّط جراحه أسألُ نفسي هل لأنّي يتيمة أم لأنّي مريضة أمْ لكليهما؟

لا أريد تلك الشفقة منهم فأنا أقوى ممّا يظنون و سوف أحتملُ مشاقَّ العيشِ في مصر مهما كلّفني الأمر، و ما لبثتُ بالتفكير في نفسي حتّى تذكرتُ يوسفَ فضحكت في سرّي: يا لكَ من غبيّ يا يوسف يا لكَ من غبيّ

فتاة لا تصلحُ لإدارة شؤون حياتها كيف تتأمل منها أن تدير لك أسرةً بأكملها أمْ لذلك الحدّ أنا أستحقّ الشفقة فأردتَ أن تجعل من نفسك ضحيّة.

ذهبت عمّتي و في وقتٍ لاحق جاءت رهف أخبرتني بأن أجهّز نفسي تودّ أن تأخذني إلى الحديقة، في بداية الأمر رفضت ثمّ

بقيَت تتودّد إليّ لأخرج أخيرًا وبعد شهرين كاملين من المنزل لأرى العابرين في الطرقات فأعلمَ أنّ الحياة لن تقف عند أحد و مستمرة رغم أنف الجميع.

جلسنا أنا و رهف و محمّد في مكانٍ هادئ و جميل ,قالت رهف: بالتأكيد قد أخبرتك عمّتك ما كانت تريد.

أومأتُ رأسي بالإيجاب دون أن أتحدّث، لتكمل رهف حديثها: أتدرين يا ريم في بداية الأمر قد ظننت كما ظننتِ أنتِ أنّ عمّتي قد طلبتك ليوسف شفقةً بحالنا و لم أكُنْ أدري أنّ لكِ مكانةً في قلبه و عندما علم أنّك ستعودين إلى مصر حينها فقط أخبر عمّتي وصارحها في الأمر على الرغم من أنّه ليس في وقته.

كنتُ أستمعُ إلى رهف و أنا لا أصدّق يوسف الشاب المثقّف الوسيم معجبٌ بي!؟

ليقاطع أفكاري محمّد: كم كان يسألني عنك يا ريم و عن أخبارك طيلة هذين الشهرين حتّى في بعضِ الأحيان كنتُ أملّ منه فلا أجيبه

نظرتُ إلى محمّد بريبة يتخلّلها صدمة: حقًّا؟! أهذا مجنون حتّى يعجبَ بي؟

محمّد: أخبرني يوسف يومًا أنّ ريم ليست مريضة و إنْ كانت تعاني فهي تعاني من الإفراط في حبّ العزلة لا أكثر و هذا مرضٌ ليس من الصعب التخلّص منه عندما يؤمن من حولها بحقيقة هذا لأنّ من أوصلها إلى هذا الحدّ هو نظرة المجتمع تجاهها.

أنهى محمّد حديثه ليقعَ موقعًا حسنًا في قلبي فهو لم يكذب بشيء و كلّ ما قاله كان تشخيصًا صحيحًا لما يحدث معي.

تجلّى الهدوء في ملامحي فأكملت رهف مسيرتها في إقناعي أنّ الموافقة على هذا الزواج هو السبيل الأفضل لعدم ابتعادي عنها بالذهاب إلى مصر و إلّا إنّها كانت و ما زالت على قرارها لن تتركني و ستعيش معي في منزلنا سويّةً.

عندما قالت رهف ذلك رأيتُ نظرة الحزن في عينيّ محمّد كأنّه يخبرها كيف يهون عليكِ الفراق يا رهف؟!

كانت الأفكارُ على أشدّها حتّى رأيتُ أنّ يوسف أهون من الجحيم الّذي كنتُ سأذهبُ إليه كما أنّه أهون على قلبي من تدمير بيتِ أختي...

لطالما كنتُ أنانية من قبل لكن اليوم سعادتي و روحي و كلّي فداءً لآخر ما تبقّى لي من أسرتي أختي رهف.

نظرتُ إليهما مقطّبة الحاجبين بجمود الملامح: عقد قران فقط دون زواج حتّى أتأقلم مع فكرةِ أنّني سوف أحملُ مسؤولية شخص ما في حياتي.

ما إنْ أكملتُ كلامي حتّى قفزت رهف من مكانها صرخت بفرح ثمّ عانقتني لأبتسمَ بحزنٍ أحدّثُ نفسي: حتّى و إنْ جعلتُ من نفسي جسرًا لك للعبور سوف أحتمل السير فوقي و أنا أبتسم، فقط كلّ هذا من أجلك يا رهف.

عُدنا إلى المنزل و ما زلتُ على ذلك الحال لا أدري ما الّذي يحصل معي و كيف وافقت بتلك السهولة التّي في الحقيقة لم تكن بسهولة لكن مقارنةً مع حياتي الروتينية الّتي لا يسودها سوى التفكير المبالغ فقد رأيتُ حينها أنّني قد أسرعت.
باتَ كلّ شيء يمضي سريعًا طلبتُ قبل أن يتمّ أي شيء أن أتحدّثَ مع يوسف فما زلتُ خائفة من فكرة أنّ أحدًا ما قد أجبره على ذلك.
على الرغمِ من تذكّري نظراته الّتي لم أرها في عيونِ أحدٍ قبله و خوفه عليّ حين ضعت في الحديقة و عندما فقدتُ أعصابي عند وفاة أمي.
رغم كلّ ذلك ما زلتُ خائفة!
حان الموعد الّذي سيأتون به إلى منزل عمّي

دخلتْ رهف فجهّزتني بكلّ حبٍّ و سعادة قائلةً لي تلك الكلمات الّتي لن أنساها حتّى الموت: أتدرين يا ريم بعد فقدان جميع أفراد أسرتنا شعرتُ أنّكِ أمانةً في عنقي و في الأيام الّتي مرّت لم أكن لأخافَ على نفسي من المجهول كما كان خوفي عليكِ، لكن بعد الآن أشعرُ في التّصالح التّام مع نفسي لأنّني سوف أضعُ الأمانة في مكانها عند يوسف.

انتهت أختي من كلماتها الأمر الّذي جعلني أشعرُ بالثقل الّذي قد تسبّبته فابتسمتُ لها لعلّي بتلك الابتسامة أخفّف عنها من ثقلها.

حتّى دخلت رشا تخبرنا بمجيء عائلة عمّتي و لا سيّما في هذه المرّة قد كان معها زوجها الّذي عاد منذ أيام.

دخلتُ بفستانٍ زهريٍّ طويل عكس أنوثة ملامحي و جمالها دون أن أدرك ذلك.

قمتُ بنظرةٍ سريعة تجاه الجميع أريدُ أن أحلّل منها ما يختلج بداخلهم من مشاعر.

شعرتُ و كأنّ زوج عمّتي مشجّعًا وبشدّة لهذه الخطوبة

كما رأيتُ الخوفَ في عينيّ عمّتي و كأنّ ما كنت أحسبه ليس حقيقيًّا فكما يبدو بدلًا من إجبار يوسف كنتُ أرى أنّ عمّتي هي الّتي أُجبِرت على هذه الخطوبة.

أمّا يوسُف!

دون أن أنظرَ إليه شعرتُ بصدقِ كلّ ما حدّثني به محمّد فكيف لو نظرت؟!

وقفنا بالشرفة قليلًا سألته بجمود: لماذا؟

_ لأنّك لستِ مجنونة.

_و إنْ كنتُ مجنونةً فعلًا؟

_سأعالجك.

_و إنْ لم أتخطَّ؟

_سأصبحُ مجنونًا مثلك.

_صدّقني لن تكون سعيدًا برفقتي فلماذا كلّ ذلك لماذا ؟

_أمّا عن السعادة من أخبرك أنّي لن أكون سعيدًا أمّا لماذا؟ فلأنّكِ مختلفة لكن لستِ متخلّفة.

ما قرأته في ذلك الدفتر و ما رأيته من حادث تلك المرأة و كيف تعاملتِ معها قد أخبراني من أنتِ.

أنهى يوسف حديثه الّذي قد أونستُ به ليعمّ الصمتُ المكان.

كنتُ أحتاجُ سببًا واحدًا للرفض لكن لم أجد!

حتّى اخترق كلام يوسف الصمت: على الرغم من إدراكي أنّ ما يحصل الآن ليس في وقته المناسب لكنْ خشيتُ أن ترحلي و يصبح لقائي بكِ حلمًا صعبَ المنال.

نسماتٌ هادئة، صمتٌ جميل، و الكثير الكثير من الكلمات المتناثرة

في عالمي.

يبدو أنّ حياتي قد أعلنت تجرّدها من روتينها المعتاد للانتقالِ إلى مرحلةٍ جديدة.

لم نلبثْ طويلًا حتّى في اليوم التالي تمامًا عُقِد قراني على يوسف و ذهبتُ معهم إلى منزلهم فلا أقوى على المكوث في منزل عمّي أكثر من ذلك، ولا أستطيع العيشَ في بيتِ عمّتي إلّا في هذه الطريقة.

ودّعتُ أختي ثمّ أخذتُ ملابسي و أغراضي لأدخلَ بهما إلى هذا المنزل فأعلنَ منذ اليوم أنّي أحدَ أفراده.

أقمتُ في غرفة هيما الّتي كانت تعاملني كالمعتاد بلطفٍ و حب.

كانت ليلةً هادئة جدًّا لم أنم هكذا منذ حادثة أهلي حتّى استيقظتُ بعد نومٍ عمّيق خرجتُ لأغسلَ وجهي.

رأيتهم جميعًا يجلسون على الأرائك يتبادلون أطراف الحديث ألقيتُ السلام فردّوه بكلّ حب إلّا أحمد الّذي كان قد عاد من الخارج بيده كيس غزل.

نظرَ إليّ بابتسامةٍ عريضة: خذيه عوضًا عن الّذي أحضرته في الحديقة عندما ضعتِ.

يا لجمالك يا أحمد كيف لكَ رغم غبائك أن تتذكر شيئًا كهذا حقًّا أنتَ أخي الّذي أحبّه.

أخذته منه وأنا أحاول أن أصنع ابتسامة هادئة: شكرًا.
أكملتُ طريقي و أنا أسمع هيما تتكلّم معه بمزاح: كم أنتَ أخٌ مرضيّ لريم ليتك تعاملني كما تعاملها.
ضحك أحمد عليها: عندما تتنازلين عن سلطتك بأنّك أكبر منّي سنًّا حينها سأتنازل أمامك و أعاملك بلطف أيّتها الشريرة هههههههههه.
توضّأتُ ثمّ عدتُ إلى الغرفة حينها طرقت عمّتي الباب.
_تفضّل.
_هل يمكن أن نتحدّث قليلًا؟
_بالتأكيد.
_حبيبتي أنتِ اليوم فردٌ من العائلة لذلك أريدُ إخبارك أنْ تحرّري نفسك من قيودها و تأكّدي هُنا لن يجبرك أيٍّ منّا على شيء.
أنهتْ عمّتي كلامها فأطلقتُ تنهيدةً طويلة: شكرًا عمّتي، شكرًا على كلّ شيء و أعدك أنّني سوف أحاول جاهدة أن أتغير للأفضل ليس من أجلي بل من أجل كلّ من حولي.
تهلّل وجه عمّتي عند سماعها هذه الكلمات كأنّها قد استُبشِرت بها خيرًا أمّا أنا على الرغم من أنّ فقدان عائلتي قد أثقل كاهلي وجعلني أكثرَ حدّةً لكنّي أدركتُ و أخيرًا أنّني قد وصلتُ إلى الذروة من انطوائيّتي و الآن قد باتَ لديّ سببًا للتغيّر ألا و هو شعوري

بالخجل أمام فضلهم عليّ.
كان ذلك السبب كافيًا لبدء مسيرتي في التغيّر حتّى و إنْ شعرتُ أنّ شراييني تتقطّع و أنفاسي تتلاشى سوف أحاربُ نفسي لأجل أحبّتي و مِن هُنا بدأت مسيرتي في العلاج.
الأيام تمرّ، وكثيرًا من الأحيان كان يوسف يتركُ عمله فقط من أجل اصطحابي إلى الطبيب.
يومًا بعد يوم زاد إصراري بالتغيير ليس من أجلي بل من أجل يوسف!
يبدو أنّني قد بدأت أتعلّق فيه، كيف لا و قد منحني ثقتي بنفسي و ما ينساه الطبيب في جلسته كان يوسف يعوّضه فقد كان فعلًا طبيبًا نفسيًّا لي.
في أوّل الأمر بدأتُ أخرجُ من الغرفة أساعدهم في ترتيب أعمال المنزل ثمّ قد ترقيتُ لمرحلةِ مشاركتهم الأحاديث لكنْ بالقليل من الكلمات.
كنت أرى سعادتهم في تحسّن حالي حتّى بدأت أفرح على فرحهم و أبتسم من قلبي.
من ظنّ أن يأتي يوم و ريم تبتسم حقًّا دون تصنّع.!
كالمعتاد في هذا اليوم لديّ جلسة علاج و قد كان يوسف في المنزل جالسًا على الأريكة يكتبُ بعض الأشياء المهمة عندما

نادى هيما لتحضر له فنجان قهوة بينما كنّا سويةً في المطبخ و كانت هيما قد وضعت السماعات في أذنيها فلم تسمعه.
تردّددتُ كثيرًا يدًا تريد أن تقوم بعمل القهوة و أخرى لا ترغب حتّى غلبت المشاعر الأفكار و جهّزت الفنجان ثمّ أخذته له بينما هو قد استلقى واضعًا الدفتر فوق وجهه من شدّة إرهاقه.
وقفتُ قليلًا بقربه لا أدري كيف سأخبره بأن يأخذ الفنجان.
قد يبدو الأمر في غاية التّفاهة لشخصٍ عاديّ لكن لشخصٍ يحاول الآن الخروج من عزلته فكان الأمر معقّدًا جدًّا.
فجأةً ارتعش جسدي على صوتِ أحمد الّذي ارتفع من شدّة التعجّب: ريييم!!
بتلك الأثناء نهض يوسف بخوف أمّا أنا قد اضطربت مشاعري حتّى اهتزّت يدي
فانسكبت القهوة أرضًا و انتزعت اللحظة الّتي لطالما انتظرها يوسف بأن أقدم له شيئًا ما بيدي ثمّ كان أحمد هو الضحيّة.

هربتُ من أمام أنظار يوسف و ما زلت أسمعُ صوتَ استنجاد أحمد في أرجاء المنزل هاربًا من يوسف و يوسف يلحق به.
حتّى وصلَ إلي ما زال أحمد يختبئُ خلفي و يوسف يحاول الإمساك به كان منظرهما جميلًا يبعث في القلب السلام فأخذاني

بذلك إلى سنواتِ طفولتنا حتّى لم أستطع تحمّل رؤية أحمد الممسك في كتفي خوفًا من أخيه فأطلقت العنان لضحكتي.

بدايةَ الأمر كنتُ أضحك بسرّي حتّى تمادت ضحكتي فغلبتني و لم يعد بوسعي كتمها.
ضحكتُ كثيرًا، ضحكت حتى بكت عيناىَ من شدّة الضحك، ضحكتُ حتّى رأيتُ بريق السعادة في عينَيْ يوسف و ضحك الجميع معي.
كانت هذه المرّة الأولى في حياتي الّتي أضحكُ فيها من أعماقِ فؤادي عرفتُ حينها كم السعادة جميلة و لها طعمٌ خاص لا يمكن تذوّقه باللسان ولا في الحواس.
هدأتْ ضحكتي ثمّ نظرتُ يوسف شعرتُ أنّي لولاه لما كنتُ على هذا الحال وكنتُ الآن أعيشُ سندريلا في جحيم زوجة خالي.
وددتُ لو بوسعي أن أخبره: أنا أحبّك يوسف شكرًا لك، شكرًا لكونك بقربي.
مرّ الوقت و بعد ساعةٍ من الزمن ذهبنا كالمعتاد و معنا هيما إلى الطبيب الّذي في هذه المرّة وجدتُ أنّ أسلوبه أغضبني لا أدري أيّ نوعٍ من الأساليب يريد أن يتّبع معي لكن في الجلسات السابقة لم نكن هكذا أمّا اليوم بات واضحًا كيف يحاول أن يهيّجَ مشاعر الغضب داخلي.

عُدنا إلى المنزل و ما زلتُ غاضبةً من الطبيب دخلتُ الغرفة لم أتحدّث مع أحد

سألت عمّتي ما بالَ وجوهكم اليوم؟

أجابت هيما بهمس: اليوم ريم قد غضبت كثيرًا.

عمّتي: و ما الّذي فعله الطبيب حتّى تغضب ففي الشهور السابقة لم تكن هكذا؟

هُنا حيث أشعل نار الغضب بداخلي صوت يوسف يتحدّث ببرود: الطبيب يدري ما يفعل.

لم يكن ليغضبني الطبيب اليوم كما أغضبني يوسف ببروده الآن.

غبي، غير مبالٍ، ظالم.كيف لك أن لا تشعرَ بشراييني تتقطّع كيف لك أن تكون بذلك البرود بينما بداخلي نيرانٌ تتأجّج.

بقيتُ في هذا اليوم في الغرفة لا أريد الخروج و رؤيتهم بالذات يوسف فلم أصفح عنه بعد.

كانت هيما تحاول بشتّى الطرق إقناعي بالخروج و أحمد أتى إلى الغرفة ومعه كيس غزل لكنْ لم أرضَ حتّى جاءني يوسف بعد ساعات: الليل قد حل و القمر لم يظهر بعد أيهون على القمر ترك الليل حالك و الناس ضائعة في الظلام؟

نظرتُ إليه بطرفِ عيني و لم أجبه.

اقترب خطواتٍ ثمّ أخرج كتابًا كان قد وضعه خلف ظهره أعطاني

الكتاب ثمّ قال: و الآن ألن يرضَ القمر بعد أن أحضرتُ له هذه الهدية؟

نظرتُ إلى الغلاف فوجدتُ أنّه كتاب ثلاثيّة غرناطة سحبته من يده و نطقت بلهفة امتزجت بالسعادة: كيف عرفت؟!

و كنتُ أقصد بذلك كيف عرفت أنّي أرغبُ بقراءة هذا الكتاب.

تغيّرت ملامح يوسف قليلًا فظهر كأنّه طفلٌ صغير ابتسم بهدوء صوته بالكاد قد خرج من فمه أشار بإصبعه بعفوية كأنّه يهوّن عليّ بذلك عملية التذكير: أتذكرين حين نسيتِ دفترك على الطاولة منذ يومين؟

قالها و ما زال مبتسمًا يحاول بذلك تخفيف غضبي.

عمّ الصمتُ قليلًا حتّى أجبته بطريقته المعتادة: اه أتذكرين يا ريم عندما نسيتِ الدفتر منذ يومين حينها و الله لم يكن بقصدي و ظننتُ أنّه دفتري.

عندما وصلتُ هذا الجزء من الحديث غيرتُ نبرة صوتي لأقلّده: ااوه و من ثمّ فتحته ففوجئت أنّه دفترك و قرأت به و أحلف لكِ أنّني لم أقرأ كثيرًا.

أنهيتُ حديثي ثمّ ابتسمنا سويّةً حينها قال: يا لكِ من فتاة ذكيّة قد حفظتِ الدرسَ في جميع حروفه و الفواصل و التنهيدات.

نظرتُ إليه بهدوء فإحضاره للكتاب كان كفيلًا بتخفيف غضبي و لستُ أرغبُ بأن أغضبَ منه فأزعجه فإنّه يوسف كيف لي أن أزعجه!

أخبرته: لن تفتح الدفتر بعد اليوم

أجابني: لن أعدك.

لم أعقّب على ذلك فلطالما اعتدتُ و بكلّ مرّة على سرقته للدفتر و القراءة منه فأحيانًا كنتُ أخبره بأنّي اكتشفته و غالبًا ما اتغافل عن الأمر.

سكتُّ قليلًا ثمّ أخبرته: لن أذهبَ غدًا إلى الطبيب.

تغيّرت ملامحه إلى الحزن فصمتَ و لم يتحدّث بشيء لكن عيناه كانتا تتحدثان عنه فما بين رغبته في إكمال علاجي و خوفه الآن من إزعاجي حاجزٌ متين يدعى الحُب.

أبصرتُ حياتي من عينَيْ يوسف و الآن أرى عينيه حزينتين بسببي.

قلتها بهدوء: حسنًا سوف أذهب.

تهلّلت ملامحه قائلًا: الأمر فقط يحتاج القليل من الصبر.

سكتُّ أمام كلماته فما قاله كان صحيحًا.

ثمّ خرج تاركًا خلفه أفكاري تتأرجح و تسألني: منذ متى و أنتِ مسالمةٌ هكذا يا ريم؟

فيجيبُ القلب: منذ عرفتُ يوسف.
بقيتُ الليلة أقرأ الكتاب حتّى أغمضتُ عينيَّ و رحتُ مستسلمة للنوم لنبدأ في اليوم التالي أحداثًا لم تكن في الحسبان.
في صباح اليوم التالي لم تستطع هذه المرّة أن تذهب هيما معنا إلى الطبيب و عمّتي كانت في زيارةٍ خارج المنزل.
فأخذنا أحمد معنا و ذهبنا إلى الطبيب، و بينما نحنُ في منتصفِ الجلسة قال يوسف: المدير في العمل طلبني بسرعة، لا تقلقي سأعود في موعد انتهاء الجلسة.
و بعد ذهابه مباشرةً عادَ الطبيبُ إلى استخدام أسلوب الضغط النفسيّ قائلًا لي تلك الكلمات الّتي لطالما كرهتها و لم أرغب بتصديقها: ريم أنتِ حقًّا مريضة و أنتِ الآن تستجيبين للعلاج و هذا ما يثبت حقيقة مرضك، ريم إنّ والدك قد مات و كلّ ما تظنين أنكّ قد شاهدتيه في ذلك اليوم ما هو إلّا حلمًا سيّئًا قد رأيتهِ في طفولتك...
في هذا اليوم قد تحدّث الطبيب كثيرًا و رغم محاولتي في ضبط نفسي لم أستطع كأنّه يتعمّد إزعاجي حتّى في النهاية نهضتُ من المقعد و أنا أتمتم بتحذير: كفى.
لكنّه لم يسكت بل و تمادى بنعتي بالجنون أكثر
تمتمتُ بتحذيرٍ أكبر: أخبرتك يكفي.

أيضًا لم يسكت حتّى فقدت أعصابي بدأت بضربه و دفعه : أنا لستُ مجنونة، لستُ مجنونة.

أعترفُ أنّني حينها قد فقدت القدرة على ضبط أعصابي و أحمد المسكين لم يعد يدري أيهربُ من أمامي أم يبعدني عن الطبيب.

وفي لحظة استجمع طاقته و أخذني في حضنه ليبعدني عن الطبيب.

عانقني أحمد بقوّة ثمّ همسَ في أذني: اهدئي، اهدئي.

كان يلمس على رأسي بحنيّة أخٍ و صديق حتّى استسلمتُ للبكاء: أنا لستُ مجنونة يا أحمد لستُ مجنونة.

أحمد: أنا أصدقك، أصدقك لكن أرجوكِ لا تبكي.

بقينا على هذه الحال لدقائق ثمّ خرجنا من العيادة و أنا أزاورُ الطبيب.

انتظرنا يوسف في الخارج حتّى أتى

لم يسألنا يوسف عن الّذي حصل فملامحي كانت تتحدثُ عنّي.

عدنا إلى المنزل تحت صمتِ الجميع دخلت الغرفة و لم أخرج منها إلّا حين شعرتُ بالعطش و عندما خرجت مررتُ من غرفة يوسف فسمعتُه يتحدّث مع الطبيب و من سياق حديثهما علمتُ أنّ يوسف لم يتركني لأنّه ذاهبٌ للعمل بل كما يبدو أنّه قد كذبَ عليّ و تركني بناءً على طلب الطبيب عندما أدركتُ حقيقة ما حصل

اليوم و كيف طاوعه قلبه أن يتركني و أنا في هذا الحال لم أحتمل ذلك أبدًا يبدو و كأنّ الجنون في الحبّ يصبح أشدّ و أعظم.
في هذه المرّة لم أكن بحاجةٍ لأيّ محاكمةٍ عقليّة فقد عزمتُ أمري و بسرعة حزمتُ أمتعتي في الحقيبة و خرجت من الغرفة حينها رأتني هيما الّتي فوجئت بما رأت و لم تقوَ على التحدّث معي فملامحي كانت تحكي قصة موجة غضبٍ عاتية.
لكنّها نادت بسرعة: أمي ، يوسف.
لم أمضِ خطوات إلّا وكان كلاهما أمامي
كانت عمّتي تتحدّث بهدوء لتفهم ما يحدث لكنْ عقلي لم يكُنْ معي فلم أعي شيئًا ممّا قالته.
أكملتُ طريقي دون أن أردّ عليها حتّى أوقفني يوسف عندما أمسك يدي و علامات التعجّب تعتليه: إلى أين يا ريم و لماذا أنتِ ذاهبة؟!
نظرتُ إليه بغضب و أبعدتُ يده عنْ يدي بقوّة: دعني و شأني.
نظرَ اتّجاهي بريبة: كيف لي أن أدعكِ و شأنك إلى أين سوف تذهبين
نظرتُ إليه بتحدٍّ: من اليوم لا علاقة لك بي
ضحك بسخرية: هل تقولين ذلك حقًّا؟
اشتدّ الجدال بيننا و قد كان الغضبُ يسيطرُ على آخرَ ما تبقى

منّي من هدوءِ حاولت عمّتي تهدئتي لكن دون جدوى حتّى مددتُ يدي لأفتح الباب فسبقتني يد يوسف لمنعي من الخروج الأمر الّذي جعلني أصرخ بوجهه بقوّة: من أنتَ حتّى تمنعني؟.

لم أكن أدري أنّ يوسف رغم هدوئه ستخرجه تلك الكلمة عن نفسه حتّى صرخ بوجهي: أنا خطيبك، لا بل زوجك شرعًا.

عندما رأيتُ شرارة غضبه تأجّج غضبي أكثر من كلمة زوجك!

فعلى الرغم من جلوسي معهم طيلة الثلاثة أشهر تلك نسيتُ فعلًا أنّه زوجي شرعًا و ما زلتُ أتعامل معه إلى اليوم كأنّه صديقٌ مخلص.

أجبته بغضب: إنْ كنتَ تريد تقييدي بكلمة زوجك فطلقني يا يوسف طلّقني حتى تتحرر من جنوني و أنا أتحرر من هذا الزوج الكاذب ال..

و لم أكمل كلمتي حتّى جاءتني تلك الصفعة منه على وجهي.

وضعتُ يدي على خدي من ألمها نظرتُ إليه بريبة: أتضربني يا يوسف!!

كان يوسف يتصبّب عرقًا كأنّه قد صحيَ على نفسه بعد أن أفرغ شحنة غضبه تلك في هذه الصفعة.

فتحتُ الباب دون أن ألتفتَ للخلف لحقَ بي أحمد لمرافقتي إلى بيتِ عمّي بينما أما من تبقّى من العائلة فقد تركتهم تحت تأثير

الصدمتين.

الأولى جنوني و الأخرى جنون يوسف و صفعي.

وصلتُ لمنزل عمّي فارتميتُ بأحضانِ رهف أبكي بينما عشراتُ الأسئلة تنهالُ فوق رأسِ أحمد و هو يحلف لهم أنّه قد كان نائمًا و لم يصحُ سوى على ضجيجنا و خروجي من المنزل.

نمتُ الليلة في أحضانِ رهف و أنا ما زلتُ على ذلك الحال فقط أبكي دون أن أتحدث بشيء و قد شعرتُ من ردّة فعلها أنّها قد تحدّثت مع عمّتي لتعلم ما حصل لذلك لم تجبرني على التحدّث و أنا في هذه الحال المتعبة.

في صباح اليوم التالي كنتُ قد هدأتُ قليلًا و عندما سألتني رهف عمّا حصل أجبتها.

حاولت رهف التخفيف عنّي و أخبرتني أنّ ما فعله يوسف كان بناءً على طلب الطبيب الّذي قد رأى أنّه من الأفضل عدم وجود يوسف في هذه الجلسة حتّى أعتمد على نفسي و لا يكون علاجي مرتبطًا بأحدٍ, وطالما قيّدت نفسي بأحد لن أتعالج.

سكتُّ أمام رهف الّتي أقنعتني في حديثها لكن عندما تذكّرت تلك الصفعة دمعت عينايَ حزنًا: لقد ضربني يا رهف.

مسحت على رأسي بعطف: لقد أخبرني و كان حزينًا عمّا بدر منه.

_ما زال ألم الصفعة في قلبي، أنا أكرهه... قلتها و ملامحي توحي أنّي أكذب ربّما قد اكتشفت رهف ذلك لكنّها تركتني و شأني. فبعض الجروح تحتاج فقط إلى الوقت حتّى تشفى.

مرّ اليوم ببطءٍ شديد جاء يوسف و عمّتي لإعادتي معهما لكنّي اكتفيتُ برؤية عمّتي الّتي اعتذرتُ منها و لم أخرج لمقابلة يوسف.

شعرتُ في هذا اليوم أنّ نفسيتي قد عادت أدراجها للخلف بعد تحسّنٍ واضحٍ.

حاولوا بيت عمّي التخفيف عنّي و جميعهم كانوا يلومون يوسف و في الوقت ذاته يريدون لفت انتباهي لخطئي فإنْ كانت تلك الصفعة ردّة فعل قوية فأنا ما فعلته يبقى نكرانًا لفضله و لا سيّما بطلبي للطلاق.

كنتُ أستمعُ إليهم بصمت و أنا أتذكر معاملته الجيّدة لي طيلة الأشهر السابقة..

ابتسامته اللطيفة، تعبه معي و اصطحابي إلى الطبيب، اهتمامه باحتياجاتي دون أن أطلبها.

لا يمكنني تجاهل أيٍّ منها لكن لا يمكنني أيضًا الصفح بسهولة فما كان يؤلمني ليس الصفعة بل لأنّه هو صاحبها.

تلك اليد الّتي ساندتني كثيرًا لم أتوقع أن تكون سببَ ألمي يومًا.

بدأت الأيام تمرّ في بيت عمّي و حالتي تزداد سوءًا فها هي أصوات أولاد عمّي الصغار تزعجني مرّةً أخرى الأجواء الّتي كنت بها تختلف تمامًا عن أجواء هذا المنزل فشعرتُ كأنّ حياتي انقلبت رأسًا على عقب.

طيلة الأيام الماضية كان يأتي باستمرار إلى بيت عمّي من أجل إعادتي لكنْ لم أقابله حتّى اليوم.

اليوم السابع من مجيئي إلى منزل عمّي..

استيقظت على ضجيج الأولاد فشعرتُ بالحنين إلى غرفتي أنا و هيما.

أخرجتُ دفتري أردتُ أنّ أكتبَ به لأفرّغ بذلك القليل من شحنات الغضب بداخلي لكن تفاجأت عندما قرأتُ أشياء لم أكن أنا من كتبها: على المرء أن يؤمن أنّ الطريق رغم وعورته لا بدّ من اجتيازه. جميلتي ريم نحنُ مقبلون على أيامٍ صعبة من العلاج و

الّتي ما هي إلّا اختبارٌ لإيماننا أرجوكِ اصمدي بوجهها لنجعل من ذلك قصّة نرويها في المستقبل لأولادنا.

أنهيتُ قراءة تلك الكلمات لأعانق الدفتر بشدّة، لا يمكنني تجاهل مشاعر الاشتياق بداخلي.

اشتقتُ إلى منزل عمّتي بل إلى منزلي اشتقتُ إلى عمّتي، إلى صديقتي هيما، إلى أخي أحمد،

لقد اشتقتُ إلى يوسف.

لم يكن بوسعي كبح مشاعري فهذه المرّة الأولى الّتي أخاف بها خسارة شيء، لقد خفتُ و بشدّة ألّا يعود يوسف بعد امتناعي عن مقابلته في الأيام الّتي مضت.

وقفت من مكاني بدأتُ أمشي تارةً للأمام و أخرى للخلف، كانت ضجّة الأولاد في الخارج كثيرة لكنْ الآن لم أعد أشعر بها فعقلي ليس منّي كما يبدو قد تركني و راح يفكّر في يوسف.

بقيتُ على هذه الحال ساعةً كاملة حتّى جاءني صوته.

تجمّدت أطرافي و وقفتُ مكاني أسترق السمع أكثر، خفت أن يكون الشوق هو من أسمعني صوته.

أغمضتُ عينيَّ لأستجمع تركيزي حتّى أدركتُ أنّ هذا صوته، هذا يوسفي قد أتى مجدّدًا.

هذه المرّة لم أنتظره حتّى يناديني لقد خرجت..

خرجتُ بوجهٍ متهلّلٍ يتوقُ لرأيته.

يوسف!

ناديته بنبرةٍ هادئة توحي بالصفح

وقف من مكانه لا يدري أيبتسم أم يحرّكَ نظارته ليتأكّد أنّه يراني حقًّا.

قالها بلطف: أعتذر.

بادرته بنفس المشاعر: بل أنا الّتي أعتذر.

شعرت بنظرات جميع من حولي فصحيتُ على نفسي و على ما بدرَ منّي للتوّ فنظراتهم كانت محرجة للغاية كأنّ جميعهم قد اكتشفوا ما يجول في قلبي.

كانت حبيبتي رهف تبتسمُ من أعماق فؤادها حتّى رأيتُ دموع السعادة في عينيها فمن كان يظن أن تتحسّن ريم إلى هذا الحال حتّى تصل إلى هذا اليوم الّذي تتحرك به مشاعر الحبّ بداخلها.

تحدّث يوسف أنّه سوف يأتي بعمّتي بعد قليل من أجل اصطحابي معهم إلى المنزل و هُنا كانت الصدمة عندما قال عمّي: لن أسمح بذلك.

شعرتُ للحظة أنّ جسدي قد شُلّ عن الحركة كيف لك أن تعترض يا عمّي كيف يطاوعك قلبك أنْ تفرّقني عن يوسفي.

كانت وجوه الجميع متوجّهةً نحوه و جميعنا في رأسنا نفس السؤال: لماذا؟

لم يحتاج عمّي لمن يترجم له نظراتنا حتّى قال: قد خرجت ريم يومًا ما من هنا بعقد قران يسكتُ ألسنة كلّ من يسأل في أيّ حقٍ تعيش في بيت عمّتها، أمّا في هذه المرّة و بعد الّذي حصل لن تخرجَ إلّا بزفافٍ و زواجٍ رسميّ حتّى تدرك ريم أنّ يوسف وليّ أمرها و يدرك يوسف أنّ المرأة غصنٌ ضعيف تحتمي بزوجها لا يجب عليها الاحتماء منه و من بطشه.

وقعت كلمات عمّي كسهمٍ في قلبي.

زواج!

زفاف!

لقد أثقلتَ كاهلي يا عمّاه.

صمتٌ غريب خيّم الأجواء لا أحد يمكنه مجادلة عمّي في الأمر فلم يتحدّث سوى الحقّ في الحين الّذي اتّجهت به جميع الأنظار نحوي فهم يدركون أنّ أفكاري المبعثرة هي العثرة الوحيدة أمام هذا الزواج.

نظرَ يوسف نحوي نظرةً منكسرة تحوي خوفه من قراري حيث قال: فكّري بالأمر مليًّا قبل أن تقرري و يكفيني أن تكوني بخير.

قالها يوسف كأنّه يعلم تشتّتي ويدرك أنّي لن أقوَ على البقاء هنا و ذهابي معه أصبح مرهونًا بقراري الآن.

لكنْ فجأة دون سابق إنذار و رغم ثقلها لا أدري كيف نطقتها و ما الّذي دفعني لقوْلها: أنا موافقة.

تهلّلت ملامح كلّ من وُجِد لا سيّما رهف و يوسف الّذي نظرَ إليّ مطوّلًا و هو يحرّك نظارته: هل أنتِ حقًّا موافقة!

التزمتُ الصمت مع ابتسامةٍ خجولة لا أدري كيف أخبئها.

و من ثمّ بوسعي القوْل لقد عدتُ في هذه المرّة لكن عروسًا جميلة، و بعدها عدتُ إلى جلساتِ العلاج مع تعهّدي بالكامل لزوجي قرّة عيني أن أطيع أمره و ألتزم بالجلسات مهما تعبت.

حتّى شعرتُ بأنّي لم أكُن منّي و كنتُ بحاجةٍ إلى هذه الصفعة منذ زمن لأعود إلى رشدي.

رحم الله أمّي لم تترك سبيلًا لعلاجي إلّا فعلته لكن قدّر الله و ما شاء فعل حتّى يبقى فقدها و أختي حسرةً في قلبي أبكي فقدهما و أبكي جحودي معهما.

لكن اليوم و بعد مرور عامَيْن كاملَيْن يبدو أنّني قد تماثلتُ للشفاء و بوسعي الآن أن أصرخ بأعلى صوتي: لقد تخطيت.

شكرًا يوسف، شكرًا رهف و لجميع أفراد العائلة على كلّ ما قدّمتموه لي طيلة تلك الفترة.

أعلمُ أنّها قد كانت فترةً قاسيةً على قلوبكم جميعًا حتّى كدتُ أجعلكم تصابون بالجنون مثلي لكنْ ما بوسعي أن أفعل فقد كان ذلك الكابوس الّذي قد رأيته في ذلك اليوم هوَ الّذي جعلني على هذه الحال لكنْ منذ اليوم أعدكم أنّني لن أهلوسَ بالتفاهات مرّةً أخرى.

و أخيرًا قد آمنتُ أنّ أبي قد ماتَ و لم يقتل، و أخيرًا آمنتُ أنّني حقًّا قد كنتُ في أزمةٍ نفسية و خرجتُ للتوّ منها.

أعدكم جميعًا أنّني لن أذكرَ الماضي مرّةً أخرى، سوف أعيشُ الحاضر بجميع تفاصيله الجميلة حتّى اليوم لن أبخلَ عليكم في الذهاب معكم إلى حديقة الألعاب.

هذا اليوم الّذي سوف أضيفه إلى أرشيف ذكرياتي المهشّمة الّتي للتوّ قد وعدتُ أنّني لن أعودَ إليها.

كانتْ ليلةً جميلة برفقة محمّد و رهف و طفلهما الأوّل لقد لعبنا كثيرًا و ضحكنا كثيرًا و كلّما نظرتُ يوسف يضحك ضحكتُ أيضًا لأسرق معه لحظات السعادة من هذا العالم الكئيب.

وبينما نحنُ على ذلك الحال نتطاير من السعادة بين الغيوم الهادئة إذ جاء ليوسف اتّصالٌ من عمّتي..

تجهّمت ملامحه، انقبض صدره كأنّ كلّ ما حوله قد بات فيلمًا مخيفًا.

يوسف! يوسف!

ناديته مرّتين على التوالي حتّى انتفضَ من عالمه على صوتي سألته: ما بك؟

ماذا حصل؟

أجابني مخبّئًا عبراته بداخله: قد تعرّضَ أبي لأزمةٍ قلبية مفاجئة و هو الآن على فراش الموت تقول أمّي أنّ نظراته نظراتُ مودّع.

يا الله.. قلتها بخوف و دهشة.

ذهبنا جميعًا إلى المشفى حيث عمّي، عمّي الرجلُ الصالح الّذي قد أمضى عمره بين حجٍّ و عمرة أو اعتكافٍ في مسجد كيف له أن يتركنا هكذا ألا يدري أنّني قد أحببته حبًّا جمّا كيف يطاوعه قلبه على الرحيل كما فعلوا أهلي.

وصلنا غرفته لنراه فعلًا على الحال الّذي وصفته عمّتي، كأنّه كان ينتظرنا ليعلنَ رحيله عن هذه الحياة.

كانت نظراته تحكي قصّة الوداع الأخير و يا ليته لم يتحدّث!

كان صوته بالكاد يخرج و من بيننا جميعًا طلب مني الاقتراب نحوه.

اقتربتُ و دموعي تسيلُ على خدّي خوفًا من فقده و حزنًا على حالنا من بعده.

أمسك يدي قائلًا: أنا الآن ميّت و ما أجمل الموت مقارنةً مع كلّ ما عشته طيلة الاثنتي عشرة عامًا تلك.

انقبض قلبي من حديثه الّذي أكمله بقوْل: لم أكُنْ أنوي قتله حينها يا ريم و كلّ ما في الأمر أنّني جئتُ إليه أعاتبه كيف له أن يتزوج أختي بالسرّ دون علمي و كيف له أن يسلبَ منها مالها.

عند سماعي ذلك سحبتُ يدي من يده بحركةٍ سريعة عفوية وضعتُ كلتا يديَّ على فمي لأكتم شهقتي من هَوْل الصدمة.

و يبدو أنّ جميع من حولي لم يكونوا أقلّ صدمةٍ منّي.

بدأت أنفاسه تتلاشى و هو يقول آخر كلماته: اثنتا. عشر. عامًا. و مازلتُ....

كانت أنفاسه تغيب بين الكلمة و الأخرة و رغم ذلك أكمل: و مازلتُ أعاقبُ نفسي على دفعه دون قصد. سا م حو ني.

ثمّ أغمض عينيه تاركًا إيّاي خلفه أيّامًا طويلة لا أقوى على النوم.

ستة عشر عامًا لم أهنأ بها في حضنِ أمي و لا في اللعبِ مع أخواتي

ستّة عشر عامًا من العزلة و الجنون كانت بسببك أنت!

لقد دمّرت حياتي و بعد ذلك تطلبَ منّي أن أصفح عنك!

كيف تريدني أن أصفح عنك و قد شجّعت زواجي من ابنك حتّى أصبحتُ زوجة ابن قاتل أبي؟

لماذا تحدّثت الآن؟

بعدَما آمنتُ أخيرًا أنّني قد شفيتُ من جنونٍ سببه كابوس.

بعدَما كذّبتُ حقيقة ما رأته عيني و صدّقت الأطباء الّذين جعلوا منّي فأرًا لتجاربهم.

لا تأمل روحك أن أصفح عنك و يكفيك منّي ألّا أشتمك في قبرك.

فها قد عدتُ إلى اعتكافي في منزلنا، ليس منزل قاتل أبي بل منزل عائلتي.

بقيتُ في غرفة الضيوف و بين الحين و الآخر أذكرُ أبي فأبكي ثمّ أذكرُ أمي فأضحك محدّثةً طيفها: ألم أخبركِ أنّ أبي لم يمُت هل صدقتني الآن يا أمي هل صدقتني هههههههههه أنا لستُ مجنونة حقًّا لستُ مجنونة.

أتت رهف على صوتي تطلبُ منّي فتح الباب لكنْ عبثًا دون جدوى ألحّت كثيرًا حتّى فتحتُ الباب ممسكةً شعري الطويل الّذي قصصته بيدي، صرختُ بوجهها: دعوني و شأني أم مازلتم غير مصدّقين أنّي لستُ مجنونة؟

ثمّ أغلقتُ الباب بشدّة تحت أنظارها الحزينة فها هوَ حالي منذ عدّة أيّامٍ و بقلبي حسرةَ أن أذهب إلى جميع الأطباء الّذين تعالجتُ عندهم حتّى أثبتَ لهم صدق كلامي و أنّي كما أخبرتهم من قبل لستُ مريضة.

يوسف!

لماذا أسمعُ صوت يوسف مجدًّدا ألا يدري أنّي لا أرغبُ برؤيته و كيف أرغب برؤية وجه ابن قاتل أبي كيف أرغبُ برؤية وجه من أجبرني على الإيمان أنّ ذلك كان كابوسًا.

يبدو أنّني قد عدتُ حيث البداية "أن أكره كلّ من أخذني إلى طبيب و جعلني أعاني بين طوابير المرضى النفسيين".

حتّى يوسف!

الّذي ما زال يطرقُ الباب لكن عبثًا فكلّ حبي له قد تحوّل ألمًا

ذلك الوجه الّذي أحببته أصبحت لا أقوى على رؤيته فهو يزيد شرارة الحزن و الغضب بداخلي كم أنا ابنةٌ أنانيّةٌ تزوجت من ابن قاتل أبيها.

أسند يوسف ظهره خلف الباب بدأ حديثه بهدوئه المعتاد: ريم ما ذنبي أنا؟

_ذنبك أنّك ابنه.

_ريم إنْ كنتِ تتألمين فأنا أتألمُ أيضًا و جميعنا هُنا مكلومون

_يوسف أرجوك دعني و شأني.

_إلى متى يا ريم؟

_ربّما مسألة وقت و ربّما حتّى الموت.

_لكن في هذه المرّة أنا حقًّا متعب... قالها بنبرةٍ يأسٍ ثمّ سكت.

_اذهب يا يوسف، اذهب حتّى لا تحترق بالنار الّتي بداخلي.

عمّ الصمت المكان لم أكن أسمع سوى وقع أقدامه و أنفاسه و تنهيداته تتضارب ببعضها.

خرج يوسف آخذًا معه قلبي و كأنّنا اليوم قد تبادلنا الأدوار أنا الطبيب و هو المريض، هو مريضي الّذي دوائه رؤيتي و أنا الطبيب الأنانيّ الّذي يبخل رؤية مريضه.

سمعتُ صوت سيارته فلم يقدها من قبل بسرعةٍ كهذه حتّى قفز قلبي من مكانه خوفًا أن يتعرّض لحادث.

صدى صوته ما زال في مسمعي "أنا حقًّا متعب"

هذه المرّة الأولى الّتي أشهده بها على هذه الحال و لم أقف بها بجانبه كم أنا زوجةٌ ناكرةٌ للمعروف، استمريتُ بتأنيب ضميري حتّى شعرتُ أنّ شراييني قد عادت تتقطّع من جديد لكن الآن لم تكن تتقطّع لمرضٍ بي و إنّما تتقطّعُ حزنًا على مريضي.

غرقتُ في بحر أفكاري حتّى صحوتُ على صوتِ الهاتف بقربي نظرتُ الهاتف بقربي رأيت اسمه "يوسفي"

سرَتْ رعشةٌ كبيرةٌ في جسدي أخذتُ الهاتف بيدَيْن ترتجفان كأنّي أدركتُ وقوع الحادث قبل سماع خبره.

نعم!..

قلتها و أنا أدعو الله أنّ يكون المتّصل يوسفي قلتها وأنا أدعوه يا رب إنْ كان يوسف المتّصل أقسمُ أنّي سوف أكلّمه و سوف أقابله و أنسى كلّ الماضي لأجله فقط.

جاءني الردّ فتصلّبَ الجسد، سقطت الدّمعات و عرفتُ أنّ حدسي لم يخطئ و يوسفي الآن في المشفى حياته في خطر.

الآن، الآن و في هذه اللحظة أدركتُ ما هو المعنى الحقيقي للجنون

كنتُ أسارع الريح و أشتمُ المسافات حتّى وصلت، ثمّ كلّما خرجَ طبيبٌ من عنده توسلتُ إليه مستنجدة: طمئنّي عنه.

في هذا اليوم كدتُ أن أجنّ رسميًّا و أنا أدعوه: يا رب خذ عمري و دع يوسفي، لا تفجعني فيه يا رب، فداه أبيه و أبي فداه كلّ أيام جنوني فقط أعد إليّ زوجي يا الله.

بكيتُ، بكيتُ حتّى شعرتُ أنّ نياط القلب قد انقطع ثمّ وقعتُ أرضًا حتّى صحوتُ بعد مدّة على ابتسامات رهف و هيما حولي و كأنّهما تبشّرانني في هذه الابتسامة أنّه بخير.

نهضتُ من السرير بوهن كما يبدو أنّني قد بقيتُ ليلةً كاملة فاقدةً للوعي لا أدري ما يحدثُ حولي كلّ ما أتذكره هو هلوستي باسمه.

ذهبتُ إليه قدمايَ ترتجفان على الرغم من تلك الابتسامات المبشّرة بالخير لكن ما زال الخوف يسيطرُ على عالمي بأيّ حالٍ سوف ألقاه!

دخلتُ الغرفة و قد كان نائمًا رأسه مضمّدٌ في وجهه خدوش بسيطة و قدمه مجبرةٌ يبدو أنّها قد كُسرت من الساق.

اقتربتُ منه ببطء فيكفيني من هذه الدنيا أنّه بخير و كل شيءٍ بعد ذلك يمرّ

وصلتُ إليه كأنّه قد شعر بوجودي، فتح عينيه المتعبتين فأمسكت بيده و قلتها بحزن: أعدك بأنّي لن أتركك مرّةً أخرى.

ابتسمَ تلك الابتسامة اللطيفة الّتي اعتدتُ عليها: قد يكون معيَ ارتجاجٌ في الدماغ ما لكِ و مجنون؟

بادلته تلك الابتسامة: إنْ كنتَ الآن مجنونًا فأنا كنتُ مجنونة قبلك.

أيامٌ قليلة ثمّ خرجنا من المشفى تركت خلفي الماضي بكلّ ما يحويه من أسى.

بدأنا مرحلةً جديدة من الحياة و رسميًّا الآن قد أخذتُ دور الطبيب فأخلاق يوسفي أصبحتْ جدًّا سيئة بعد الحادث و لا يقوى على سماعِ أيّ ضجّةٍ.

الهدوء!

الهدوء التام هو كلّ ما يطلبه حتّى تعلمتُ كيف يكون الكلامُ همسًا كي لا يزعجه صوتي.

عندما أخذتُ دور الطبيب أدركتُ بأني قد كنتُ مريضًا عنيدًا مزعجًا، رحم الله أمي كيف تحمّلتني وحفظ الله يوسفي أظنّ أنّ رجلًا غيره لن يحتمل جنوني.

شهرٌ كامل من المعاناة حتّى تماثل للشفاء تمامًا و كان موعد امتحاناتي الثانويّة قد أتى.

كان يأخذني في كلّ موعد تقديم حتّى انتهت فترة الامتحانات و مازلتُ أذكرُ عندما جاء موعد النتائج كنّا جالسين جميعًا ننتظرُ النتائج و لا سيّما أنّ أحمد أيضًا ينتظر نتيجته بفارغ الصبر فإنْ كنتُ أنتظرُ معرفة درجتي فكان أحمد ينتظر معرفة إنْ كان راسبًا أم ناجحًا.

أخيرًا ظهرت النتائج قالها يوسف: أحمد مبااااارك ناجحٌ فوق الكسرِ بدرجةٍ واحدة.

تعالت أصواتنا فرحًا ليتبعها قلقي و خوفي ماذا ستكون نتيجتي.

سكت يوسف ليبحث عن اسمي ثمّ قالها بلهفةٍ و فرح: نجاحًا يؤهلك دخول علم النفس.

قفزتُ من مكاني بسعادةٍ كبيرة شعرتُ حينها أنّي طيرٌ يودُّ أن يلحق عاليًا.

كلمات الشكر كانت قليلةً جدًّا مقارنةً بفضلهم عليّ.

عمّتي، أحمد، هيما، رهف، و يوسفي ..

أنا أحبّكم، شكرًا، شكرًا لكم جميعًا فما أنا عليه الآن ما هو إلّا ثمرة وجودكم قربي..

و هكذا بوسعي القوْل أنّني قد اجتزتُ كلّ ما ظننته مستحيلًا، لأكتبَ إليكم قصّتي و عندي من الأطفال اثنين و تخرّجتُ من كليّة علم النفس كزوجي لأصبح لاحقًا حديث الجميع

مجنونٌ في الماضي طبيبٌ نفسيّ في الحاضر ويسبقها لقبي المشهور الكاتبة ريم.

ريم الّتي لم يكن الاجتيازُ في حياتها كلمةً عابرة وإنّما مصطلحٌ امتزجت حروفه بالآلام والأحزان لكن وبعدما وجدتُ سببًا لتمسّكي في هذه الحياة كان لا بدّ أن أجتاز و هكذا جميع البشر لكلٍّ منّا أسبابًا للاستمراريّة و السعي لكن يجب أن نقدّر قيمتها قبل أن ترحل من أيدينا.

و في نهاية الحديث لا بدّ أن يدرك المرء أنّ جميع تلك المحاكمات العقلية ما هي إلّا وهمٌ نفسيّ و إنْ كان هناك "محاكمة عقل" فما هيَ إلا قصّةٌ أنت تنسجها بنفسك لا يحقّ لك أن تنهيها إلّا بتحريرك من أسرك لتحلّق عاليًا بأفكارك و تجعل من مريضٍ طبيبًا.

وفي نهاية القصّة أقول كما قالت ريم:

كلمات الشّكر قليلة والفضل كبير..

ومع تغيّر الشخصيات أتقدم بالشكر الكبير لكلّ من شجعني على نسجِ هذه الخيوط لا سيّما

عائلتي، صديقاتي، مجلّة الأمل

المدقّقة فاطمة جمعة

المحرّرة الصحفيّة نغم بربور

وإلى كلّ من قرأ هذه الكلمات دمتم بخير.

٢٠٢٣\٦\١٩